(١١٤) سورة الناس مكية وآياتها ست

سورة الناس مكية، وهي ثاني المعوذتين، وفيها الاستجارة برب الأرباب من شر أعدى الأعداء إبليس اللعين، وأعوانه من شياطين الإنس والجن، الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء، وقد ختم القرآن العظيم بالمعوذتين كما بُدئ بالفاتحة، ليجمع بين حسن الافتتاح وحسن الاختتام، وليكون القارئ محفوظاً بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره، فإنه يبدأ التلاوة بالتعوذ ويختم القرآن بالمعوذتين، وهذا غاية الحسن والجمال، وبالله التوفيق.

« تم بعونه تعالى كتاب إيجاز البيان في مقاصد سور القرآن وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين. السابع عشر من شهر ربيع الأول ١٣٩٨.

مكتبة المحتسب الأبي الحسيني
المدينة المنورة
١٤٣٠ هـ
أول على المكتبة الشاملة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الناس[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[١] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[٢] ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾[٣]

قوله تعالى: **قل أعوذ برب الناس**، فظاهره[٢] أمرٌ لرسول الله بشيء[٣] مشار إليه وهو التعوذ. وحق الإجابة في مثله أن يقول: أعوذ، لا[٤] أن يقول: قل أعوذ؛ لكنه -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون ذلك أُنزل بحق أن يصير ذلك أمرًا لكل من بلغه، وتعليما بالذي عليه من الاعتصام[٥] بالله تعالى، والالتجاء إليه من شر الذي ذكره ليعيذه. ويكون الإعاذة بوجهين. أحدهما في تذكير ما قد[٦] عرّفه من الحجج في دفع ما يخطر بباله من المكروه. والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا تدركه[٧] عقولهم مما لديه يقع الأمن من الزيغ مما حقه الإفضال.[٨] والذي ذلك حقه فللّه تعالى أن يُكرم به العبد مبتَدَءًا،

---

[١] ر – سورة الناس؛ ن + مدنية؛ ث + وهي ست آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.

[٢] م: فظاهر.

[٣] ر ن م: وشيء.

[٤] ر م – أعوذ لا؛ ن – لا.

[٥] ر م: بالاعتصام.

[٦] ر ث م – قد.

[٧] جميع النسخ: ولا يدركه.

[٨] ر ث م: الإفعال.

وله أن يُقدم فيه محنة السؤال والاعتصام به على الإكرام أيضا. ويلزم على من عصم به[1] عن الزلة أو هُدِيَ إلى حسنة الشكرُ لله تعالى فيما ابتدأه أو أكرمه[2] عند[3] السؤال.

والوجه الثاني من وجهي الخطاب أن يكون الخطاب لغيره، وإن كان راجعا إلى مشار إليه فهو / مما يشترك في معناه غيره، فأبقى وأثبت ما به يصير مخاطبا مَن بلغ ذلك، وهو قوله: **قل،** [٩٢٧و] حتى يدومَ هذا إلى آخر الدهر. وعلى هذا[4] جميع ما فيه حرف الكلفة والمحنة، أعني صيغة الأمر. *والله الموفق.*

ثم في قوله: **قل أعوذ برب الناس،** إلى آخر السورة وجهان من الحكمة، فيهما نقض قول أهل الاعتزال. أحدهما أن المحنة قد تثبت[5] بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له. فإما أن كان الله تعالى عز وجل أعطاه جميع ما يقع به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيد، أو لا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده شيء منه. فإن كان قد أعطاه، فهو يطلب ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى، [فكأنه] كاتمٌ[6] لما أعطاه طالبٌ ما ليس عند الله تعالى، فيكون الأمر بالتعوذ محنة وأمرا بما به كتمان ذلك. وذلك [إما] حق[7] استوفاه[8] يكون إنكاره [من الفحشاء، أو نعمة آتاه يكون كتمانه كفرانا للنعمة، إذ الكفر حقيقته][9] ستر نعم الله تعالى. وقد تبرأ عن الأمر[10] بالفحشاء والمنكر، وبيّن أن ذلك عمل الشيطان.[11] ثم في المحنة بهذا محنة بالاستهزاء بالله تعالى، لأنه يطلب منه ما يعلم أنه لا يملكه ولا يجده عند نفسه، وذلك من عمل الهُزْء عند ذوي[12] العقول. فمن ظن أن الله تعالى يمتحن عباده ويأمرهم بشيء مما ذكرنا فهو جاهل بالله تعالى وبحكمته.

---

[1] أي حفظه بالتعوذ.

[2] جميع النسخ + به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩و.

[3] م - عند.

[4] ر ن م - هذا.

[5] ن: قد يثبت.

[6] ن: كأنه.

[7] جميع النسخ: حين. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] أي أخذه العبد تاما وافيا.

[9] الزيادة من المرجع السابق.

[10] م - عن الأمر.

[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٧-٢٨).

[12] جميع النسخ: من علم الجزء وعند ذي. والتصحيح من المرجع السابق.

و[الثاني] أنْ لم يكن الله تعالى أعطاه[١] وعنده [شيء] بعد ذلك. ثم كان من مذهبهم[٢] أنه ليس لله تعالى أن يمتحنهم بفعل إلا بعد إيتاء جميع ما عنده مما به قوامه ووجوده. ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة وتوجه التكليف قبل إيتاء جميع ما عنده مما به الوصول إلى ما أَمر به، وذلك ترك مذهبهم. مع ما كان عندهم أنه لو كان عند الله أمر ومعنى لا يقع فعل المختار لأجل أنه[٣] لا يعطيه ذلك لم يكن له أن يمتحنه، وهو بالامتحان جائر.[٤] فأما أنْ سألوه بفعل قد أَمر به وإن لم يكن أعطاهم[٥] ذلك[٦] -وهم ما وصفوا الله[٧] تعالى بمثل ذلك- أو بفعل[٨] يتلو وقت الأمر[٩] ذلك ويكون[١٠] إعطاء ذلك وقتَ الأمر،[١١] فكأنه ظن أن يأمر[١٢] ولا يعطي حتى يُسأل، وذلك حرف الجور.

ثم الأصل الذي اطمأن به قلوب الذين يعرفون الله أنه متى هُدِي الهداية التي يَسأل،[١٣] أو عُصِم العصمة التي يطلب، أو وُفق لما يرجو من الفضل،[١٤] أو أعانه عند ما يخاف[١٥] كان ذلك لا محالة وتَحقق[١٦] بلا شبهة، ويأمن لديه من الزيغ والضلال. وعلى ذلك جُبلوا مما لا نجد[١٧] غير معتزلي إلا وقد اطمأن قلبه به، حتى يعلم أن هذا منه ووقع[١٨] المجبول عليه، بالتقليد. **ولا قوة إلا بالله**.

---

[١] أي أعطى العبد ما يقع به الامتناع من طاعة الشيطان.

[٢] ث + أن يمتحنهم بفعل لم يكن الله تعالى أعطاه.

[٣] ر م: لأنه.

[٤] ر ن م: جائز.

[٥] جميع النسخ: أعطاه.

[٦] أي وإن لم يكن أعطى الله العباد قدرة ذلك الفعل ووسائل إيقاعه.

[٧] ن: لله.

[٨] ث م: يفعل.

[٩] أي يجب إيقاع ذلك الفعل فورا ويكون إعطاء الله تعالى قدرة ذلك الفعل ووسائله وقت الأمر به.

[١٠] ن م: فيكون.

[١١] أي يكون إعطاء الله قدرة ذلك الفعل وقت أمره به.

[١٢] ر م: أن يأمروا.

[١٣] جميع النسخ: سئل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩و. أي متى يسأل العبد أن يُهدَى إلى الرشاد أو يعصم من الخطأ والمنكرات...

[١٤] جميع النسخ: من الفعل. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] جميع النسخ + أنه.

[١٦] ر م: ويحقق؛ ث – وتحقق.

[١٧] ر ث: لا يجد.

[١٨] جميع النسخ: وقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٩ظ.

وقوله عز وجل: **برب الناس ملك الناس إله الناس،** ولم يقل: أعوذ برب الخلق، وهذا أعم من الأول. وإضافة كلية الأشياء إليه أو إضافته إلى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله تعالى، فما كان أعمّ فهو أقرب في التعظيم. فهذا -والله أعلم- يخرج على أوجه. أحدها أراد التعريف، وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يُفزع إليه ممن يملك ذلك ليتعوذ[1] به.[2] لكنه ذكر "برب الفلق" في موضع، "وبالله" في موضع، "وبك" في موضع، كقوله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[3] وقوله:[4] فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[5] ليعلم به من سعة الأمر وتحقيق الفزع والرجوع إلى الله تعالى عند نزول ما ينزل بالمرء[6] مما يخاف على نفسه ويَشغَل قلبَه أنَّ له ذكرَ ما يحضره من أسماء الله تعالى أيَّ اسم كان، إذ ما من اسم[7] إلا وفيه دلالة على نعمه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك إليه وإخلاصُ الحمد له بإضافة النعم. فيكون ذلك من بعض ما به التشفع[8] إلى الله تعالى من ذكر قدرته وإحسانه، و[يكون] أرفع ذلك في ذكر الناس بالإضافة إليه.

والثاني أن الذين عُرف فيهم الأرباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم الإنس دون غيرهم، فأَمَر أهلَ الكرامة بمعرفة الله تعالى والعصمة عن عبادة غيره والاعترافِ بالمُلْك والربوبية له أن يفزعوا إليه عما ذُكر، ذاكرين لذلك، واصفين بأنه الرب لهم والمَلِك عليهم والمستحق للعبادة لا غيرُه. أو لِما كان للوجوه التي ذكرنا ضل القوم مِن اتخاذهم أربابا دونَ الله تعالى، أو نزولِهم على رأي ملوكهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض، أو عبادتِهم غير الله تعالى وفَزَعِهم إليه، فأمر الله تعالى أهل الكرامة بما ذكر من الفزع[9] إلى الذي يُذكَر بهذه الأوصاف على الحقيقة، على نحو فزع الضالين إلى أربابهم وملوكهم؛ و[أمر] الذين عبدوه دونهم، إذ إليه مفزع الكفرة أيضا عند الإياس عمن اتخذوهم دون الله لنصرتهم ومعونتهم. *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: ليعود. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٦٩ظ.

[2] جميع النسخ: منه.

[3] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.

[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ﴿وإما يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (سورة الأعراف، ٢٠٠/٧).

[6] ن – بالمرء.

[7] ر: إن ما من اسم؛ م + كان.

[8] ر م: الشفع.

[9] جميع النسخ: بما ذكرت الفزع. والتصحيح من المرجع السابق.

والثالث أن المقصود من خلق هذا العالم هم الذين[١] نزلت فيهم هذه السورة، وغيرُهم كالمجعول المسخر لهم، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[٢] وقال: اَللّٰهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ،[٣] الآية، وقال الله تعالى: / اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا،[٤] الآية. [٩٢٧ظ]

فإذا قيل: **برب الناس، ملك الناس [إله الناس]**،[٥] فكأنه قيل: برب كل شيء، لأن ما سواهم جُعل لهم. وذكرُ الخلق[٦] والتوجيهُ إليه في الاستعاذة والاستغاثة[٧] هو اعتراف بأن لا يملك غيرُه ذلك، فاستوى الأمران.[٨] ***والله أعلم***.

وقيل[٩] في [قوله:][١٠] **برب الناس**: مصلح الناس، وذلك يرجع إلى أن به صلاحهم في الدين وفي النفس.[١١]

وقيل: **مَلِكِ الناس**، على الإخبار بأن الْمِلْك [والْمُلك] له فيهم جميعا، وفي الخلق [جهة المِلك][١٢] مما لم يُذكر فيه جهة[١٣] المُلْك، فبيّن أن ذلك كله في التحقيق لله تعالى ومُلكِه، ولغيره يكون من جهته على ما أعطى لهم بقدر ما احتاجوا إليه. وقيل:[١٤] سيدِهم، لكن لفظة "السيد" لا يذكر لمالكِ غيرِ الناس، ويوصف[١٥] بالرب والمِلك، والمالك على الإضافة لا مطلقا. يقال: "رب الدار"، و"مالك الجارية"، و"مِلك مصر"،[١٦] ونحو ذلك، فكأنه[١٧] أقرب.

---

[١] ر: هو الذين.

[٢] سورة البقرة، ٢/٢٩.

[٣] ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٢).

[٤] ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢).

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٦٩ظ.

[٦] أي الناس.

[٧] جميع النسخ: والاستعانة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] أي استوى ذكر "الناس" وذكر "كل شيء".

[٩] ث: قيل.

[١٠] الزيادة من المرجع السابق.

[١١] ث – والله أعلم وقيل في قوله برب الناس مصلح الناس وذلك يرجع إلى أن به صلاحهم في الدين وفي النفس.

[١٢] الزيادتاة من المرجع السابق.

[١٣] ر م + فيه جهة.

[١٤] أي في تأويل ﴿ملك الناس﴾.

[١٥] أي الإنسان.

[١٦] ر م: المصر.

[١٧] أي التأويل الأول لكلمة ﴿ملك﴾.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[٤] ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٥] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **من شر الوسواس الخناس**، فسمي الذي يوسوس بأنه وسواس وخناس. وقيل في تأويله من وجهين. أحدهما أنه يوسوس لذي الغفلة، ويَخْنِس عند ذكر الله تعالى أي يخرج ويذهب. وقيل: يخنس: لا يُرَى ولا يَظهر، كقوله تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[1] ولهذا قيل: في "الْجَوَارِ"[2] "الْخُنَّسِ":[3] إنهن يَطْلَعْن من مَطالعهن ويَخنِسن بالنهار أي يختفين.[4] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**،[5] صيّرَ الموسوس في صدور الناس من الجنة والناس. وقيل أيضا على التقديم والتأخير، معناه: قل أعوذ برب الناس... من الجنة والناس من الذي[6] يوسوس في صدور الناس.

أما الوسوسة فهي أمر معروف، وذلك بما[7] يُلْقَى من الكلمات التي تَشغَل[8] القلب وتُحيرَ[9] في أمر الدين، بما لا يَعرف الذي يُلْقَى إليه المخرج[10] من ذلك. وعلى ذلك أمر أهل الأهواء وأصناف الكفرة، كقوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[11] وقوله عز وجل: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ.[12]

وأما شياطين الجن فهو أمر ظاهر عند جميع أهل الأديان ومن آمن بالرسل عليهم الصلاة والسلام. لكن الدهرية ومنكري الرسل[13] يقولون: ليس من الجن[14] شياطين،

---

[1] سورة الأعراف، ٧/٢٧.
[2] ث: في الجواري.
[3] ر: الكنس. لعله يشير إلى الآيتين من سورة التكوير: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ (٨١/١٥-١٦).
[4] ر م + وقيل.
[5] ر ث م + الآية.
[6] ر م: من الذين.
[7] ر ث م: مما.
[8] جميع النسخ: يشتغل.
[9] ر م + لما.
[10] أي الخلاص.
[11] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).
[12] سورة الأنعام، ٦/١٢١.
[13] ر - الرسل؛ م: البعث.
[14] جميع النسخ: في الجن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٧٠و.

وإنما هو أمر يخوّف به مُدَّعو[1] الرسالة ليُلزموا الخلق الاستماع إليهم في تعرّف الجَهْل وما عندهم في دعواهم من العلوم والمعارف.

وهذا لسفههم قالوه،[2] ولو أنهم تأملوا في ذلك لعرفوا أنهم على غير بحث عما ألزمتهم[3] ضرورة العقل الطلبَ، ودعتهم إلى البحث عنه ما مسهم من الحاجة،[4] وهي الخواطر التي تقع في القلوب والخيالاتُ التي تَعرض[5] في الصدور. منها [ما][6] إذا صُورت وُجدت قِباحا، ومنها[7] ما إذا صُورت وُجدت حِسانا. ولا يجوز وقوع أمر أو كون شيء بعد أن لم يكن مِن قِبل نفسه للإحالة في أن يصير لا شيءَ بنفسه شيئا قبيحا أو حسنا بلا مدبّر. وقد عَلم جميع الإنسان بالذي ذكرت من الابتلاء به مما يُعلَم أنه لم يكن من نفسه معنى يَحدُث له ذلك. فثبت أن قد كانت الضرورة تُلزم[8] البحث عن ذلك.

ثم لا يُعلَم من حيث طلبُ الأبدان الموجبةُ لها ولا في العقول أيضا[9] دركُها. فيجب بها أمران منعاهم عن العلم بهما: القُنُوع[10] بالجهل وحب الراحة. أحدهما القول[11] بالصانع ودخول العالم تحت تدبير حكيم عليم قدير، والآخر القول بالرسالة تأتيهم[12] من[13] عند علام الغيوب. وإذا[14] كان[15] ذلك بحيث لا يبلغه علم البشر فيَعرفَ حقيقة ذلك، فيعلمَ عند النظر والبحث أمرين عظيمين. أحدهما الرسل بما معهم من المعجزات، فيقولون بهم وبالتوحيد بما رأوا من الآيات الصدق،

---

[1] ر ت: مدعوا.
[2] جميع النسخ: قالوا.
[3] ر ث ن: ألزمهم.
[4] أي إن الذين ينكرون شياطين الجن لم يبحثوا عما ألزمتهم عقولهم طلبه ودعتهم الحاجة إلى التأمل فيه والكشف عن حقيقته، وهي الخواطر إلخ.
[5] ن: يعرض.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[7] ر: ومنهم.
[8] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م – أيضا.
[10] ر ن م: الصوع.
[11] ر: العقول.
[12] جميع النسخ: يأتيهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن – من.
[14] جميع النسخ: إذا.
[15] ر م: كانت.

إذ قد علموا أن في الأخبار صدقا لولا ذلك لكانوا لا يدعون شيئا، إذ هو خبر.[1] والثاني يلزمهم بما يعاينون[2] من خروج الأمور[3] عن غير الحكماء أنها تقع متفاوتة مضطربة، والعالم بما خرج مُتَّسقا على الحكمة والمصلحة، فعلموا أنه كان بمدبر حكيم يعلم[4] ما به المصالح؛ فيلزمهم به أمران أيضا: التوحيد والرسالة. ***ولا قوة إلا بالله تعالى.***

والأصل عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا[5] من الوسوسة أن الشيطان والملَك خلقان لله تعالى، عرفناهما بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وبما بينا من ضرورة الحاجة إلى العلم بمن بإلقائه يصير عند التصوير قبيحا أو حسنا، فيأتيان جميعا بما مكّنهما الله تعالى من الأمرين جميعا. أمرُ الملائكة الخير والحكمة، فيَسهُل عليه[6] سبيله بتيسير الله تعالى وفضله. وأمرُ الشيطان الضلال والشر فيُيَسَّر عليه، حتى صار الخَير للأول كالطبع والشر للثاني كذلك. فإذا كان كل واحد ممكنا
[٩٢٨و]من الأمرين / قال الله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ إلى قوله عز وجل لِلْعُسْرَى،[7] وقال الله عز وجل: فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ إلى قوله تعالى كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ.[8]

ثم الأصل في الإنس أنهم امتُحنوا بحقوق بينهم وبين الله تعالى وبحقوق فيما بينهم، وكُلفوا أن [يقبلوا][9] بتثبيت[10] الملائكة إياهم، بقوله[11] عز وجل: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[12] وأمروا برد ما يوسوس إليهم الشيطان، بقوله تعالى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا،[13] وغير ذلك.

---

[1] ر ن م + له.
[2] جميع النسخ: بما يعاينوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[3] جميع النسخ: الأمر.
[4] ر ث م: بعد.
[5] ث: ما ذكر.
[6] أي على كل من الملائكة.
[7] ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-١٠).
[8] ﴿فمن يرد الله أن يهديه يَشرح صدرَه للإسلام ومن يرد أن يُضله يجعل صدره ضيقا حَرَجا كأنما يَصَّعَّد في السماء﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٥).
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: تثبيت. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م - بقوله.
[12] سورة الأنفال، ٨/١٢.
[13] ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٦).

وعلى ذلك خلقت الملائكة ممتحنين بالكتابة[1] على البشر، بقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ؛[2] فتكون[3] الحكمة في تكليف الْمُمَكَّنِين[4] ما وُصف من محنة الله تعالى إياهم طاعتَهم في أنفسهم وفيما مُكِّنوا من غيرهم على ما ذكرت من أمر[5] الإنس. وحكمة ذلك للإنس إلزام التيقظ والنظرِ فيما يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذي له مِن[6] الذي عليه. وكذلك [الأمر] في تكليف الملائكة [من] كتابة[7] قوله[8] وفعله، ليكون متيقظا ومتنبها في كل أفعاله وأحواله،[9] كتيقظه فيما كان الأولياء والأعداء من الكاتبِين الظاهرين عليه أنه يَحذَر كل الحذر[10] عما يؤذى وليّه، ويُقبل على كل أمر فيه نفع مما أَمَّلَ،[11] ويَحذر عدوّه أشد الحذر لئلا يؤذيه من حيث لا يعلم فيتهمَه كلَّ تهمة. ثم معلوم أن لا يُمليَ الكتبة إلا بعد إحكامه وإصلاحه غاية ما يحتمل الوسع، فعلى ذلك فيما خفي؛ إذ هم في العقول في درك ما لهم[12] وما عليهم كالذين ظهر لهم[13] ممن ظهروا لأبصارهم.[14] **والله الموفق**. ولذلك[15] صَلحت[16] المحنة والأمر في صحبة الأولياء والأعداء[17] بحق الولاية والعداوة فيما لا يَرون صلاحَها وفيما يرون، إذ [النيات] من الجهة التي فيها[18] الولاية والعداوة مرئية[19] لأبصار القلوب والعقول، فيمكن الحذر والمعاملة جميعا.

---

[1] ر م: بالكناية.
[2] سورة الانفطار، ١١/٨٢.
[3] جميع النسخ: فيكون.
[4] جميع النسخ: التمكين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.
[5] م: الأمر.
[6] ن: ومن.
[7] م: من كناية.
[8] ث + وحكمته.
[9] ن: أحواله وأفعاله.
[10] ن - كل الحذر.
[11] جميع النسخ: يقع بما أمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ما منهم.
[13] ن: ذكر لهم.
[14] أي الكتبة من الملائكة -في تعقلنا وفهمنا- في درك ما للممتحنين وما عليهم من الأفعال كالذين ظهر لهم الأفعال عيانا.
[15] ر: وكذلك.
[16] ن - صلحت. وصلحت: أي أمكنت وصارت موافقة للحكمة.
[17] ن: الأولياء.
[18] جميع النسخ: من الوجه الذي فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[19] جميع النسخ: والعداوة من مزينة. والتصحيح من المرجع السابق.

وعلى هذا التقدير لم يمكّن الله أعداءه[1] الذين[2] لا يُرَون[3] من معاداتهم بأفعال في[4] أبدانهم[5] وأموالهم بالسلب والتنجيس والإفساد، وقد مكّن أعداءه[6] من الإنس ذلك، لتمكنهم [من] الدفع عن ذلك والحذر عنه بما وقع الوقوف لبعض على حيل بعض والصرفُ عن ذلك، وما هذا إلا كدرك الحواس بأفعالها وأسبابها بالحس، وكذلك أمر الملائكة. لكن من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيدَ مع شهادة العقل وكلِّ شيء فجهله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر. *والله أعلم*.

{قال رضي الله تعالى عنه:} ثم اختلف في وجه تمكن[7] الشيطان من الإنس فيما يوسوس إليه. قد روي في بعض الأخبار أنه يجري فيه مجرى الدم،[8] فأنكر ذلك قوم. وليس ذلك مما يُنكَر بعد العلم باحتمال جري الدم فيه وجري قوة الطعام والشراب وما به حياة الأبدان والحواس مما لطف مجراه[9] في جميع العروق والأعصاب وكل شيء بلطافة ذلك، فعلى ذلك[10] الشيطان. وعلى ما روي في أمر الْمَلَك مما يكتب ما لا يُعلَم موضع قعوده ولا يُسمع[11] صرير[12] قلمه ولا ما يكتب علينا من ذلك. فعلى ذلك الأمر[13] الذي ذكرت.

ثم قد ثبت القول بأمر الله تعالى نبيه أن يتعوذ به عن همزه ونَزْغِه وحضوره، بقوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ،[14] الآية، وقوله عز وجل: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[15]

---

[1] ن: أعداه.
[2] ر م – الذين.
[3] ر م: ولايرون.
[4] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[5] أي أبدان الممتحنين.
[6] ر م: أعداؤهم؛ ن: أعداهم؛ ث: أعداءهم.
[7] ن م: يمكن.
[8] لعله يشير إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (صحيح *البخاري*، الأحكام، ٢١، بدء الخلق ١١؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٢٣–٢٥).
[9] م: مجراء.
[10] ر م: بلطافة ذلك؛ ن: بلطافة فعلى ذلك.
[11] ث: ولا سمع.
[12] ن م: ضرير.
[13] جميع النسخ: أمر.
[14] ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠٠).
[15] ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك أن يحضرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٧–٩٨).

وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[١] وقال: الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ،[٢] الآية، فثبت أن أمره على ما يشاء.[٣]

ثم القول في أي موضع [يكون][٤] [أو ا]لوقت ما له من الوحي والمس والنزغ أمر لا نحتاج إليه نحن،[٥] لأن الله تعالى أخبرنا أنا لا نراه بقوله عز وجل: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.[٦] ولكن الذي[٧] رجعت إليه[٨] المحنة أفعالُه التي تقع[٩] لها آثار في الصدور، وقد مُكِّنَّا بحمد الله تعالى ومنّه لندرك [ما جاء] منه.[١٠] وإنما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من أفعاله ووساوسه لندفع[ها][١١] بما مكّننا الله تعالى من الأسباب وعرّفنا من الحجج بغض الباطل والتمسك بالحق، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا،[١٢] أو رجعوا[١٣] إلى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذي جعله الله[١٤] تعالى للدفاع، كقول[١٥] يوسف عليه الصلاة والسلام: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ،[١٦] الآية، على العلم فيه بظواهر الأسباب المجعولة[١٧] لدفع كيدهن. وكذلك قول الراسخين في العلم: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا / بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً،[١٨] الآية. [٩٢٨ظ]

---

[١] سورة الأعراف، ٢٠١/٧.

[٢] ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (سورة البقرة، ٢٧٥/٢).

[٣] ث – فثبت أن أمره على ما يشاء.

[٤] الزيادة من الشرح، ورقة ٣٧٠ظ.

[٥] جميع النسخ: لا يحتاج إليه بحق. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] سورة الأعراف، ٢٧/٧.

[٧] م: الذين.

[٨] ر ث م – إليه.

[٩] جميع النسخ: إلى أفعاله التي يقع.

[١٠] ر ث م: ومنة ليذكرك منة. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] م: ليدفع.

[١٢] سورة الأعراف، ٢٠١/٧.

[١٣] ر ث م: ويرجعوا؛ ن: وترجعوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] ن – الله.

[١٥] م: كقوله.

[١٦] ﴿قال رَبِّ السِّجنُ أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين﴾ (سورة يوسف، ٣٣/١٢).

[١٧] ر ث م: بطوائف الأشياء من المجعول؛ ن: بطوائف الأسباب المجعول. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٨] سورة آل عمران، ٨/٣.

لكن من الناس من يقول: هو يَعْلم النفس فيما تهوى[1] فيُزيِّن لها ذلك، والعقلَ فيما يدعو[2] فيمنعه عن ذلك. ومنهم من يقول: لا، لكنْ في ذلك آثار من الظلمة والنور والطِّيب والخُبث[3] فيعرف[ها] بالآثار،[4] وفيها موقع وسواسه حتى يصل إلى الفعل.[5] وقد يكون عمل الهوى والعقل جميعا في الجسد[6] وخارجا[7] منه وبخاصة آثار الأعمال. ومنهم من يقول: ليس له بشيء[8] من ذلك علم، لكن [يتمسك] بكل ما يرجو[9] العمل من التغرير أو[10] التمويه والتلبيس، كالأعمى فيما يَمَسُّ ويطلب المَضارّ من المنافع ونحو ذلك.

لكن ذلك كله طريق عمل الشيطان وطريق إمكانه وحيله. وذلك أمر لم نؤمر[11] بمعرفته، وإنما علينا مجاهدته في منع ذلك بالتيقظ أو بدفعه[12] بما نتذكر[13] -هكذا ذكرت في الآيات- أو بالفزع إلى الله سبحانه وتعالى في دفعه ومنعه إن حضر، بما عنده من اللطائف التي لديها يقع الأمن عن الزيغ والظفرُ بالرشد.

وتأوَّل[14] كثير منهم أنه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس، وذلك ممكن لما قد يكون في كل[15] جنس ضُلّال وغُواة[16] وأخيار وأبرار. فأما حق تأويل السورة على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والإنس [والله أعلم].[17]

---

[1] ن: فيما يهوى.

[2] ر ن م: فيما يدعوا عن ذلك؛ ث + عن ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.

[3] ر ث م: والخبيث.

[4] ن: بالآيات.

[5] ن ث: إلى العقل.

[6] ث: في الحسد.

[7] جميع النسخ: وخارج.

[8] م: شيء.

[9] ر م: يرجوا.

[10] جميع النسخ + في.

[11] جميع النسخ: لم نؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] ر ث م: أو يدفعه.

[13] جميع النسخ: بما يتذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] ر م: ويأول.

[15] جميع النسخ: من كل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[16] ث: وعياه.

[17] الزيادة من المرجع السابق.

ثم القول في المعوذتين أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن. {قال الفقيه رحمه الله:} لنا من أمرهما أنهما انتهتا[١] بما انتهت[٢] إلى أهل هذا العصر معرفةُ القرآن في الجمع[٣] بين اللوحين بتوارث الأمة. ولسنا نحن ممن يعرف بالمحنة والسَّبْر[٤] بما به[٥] نعلم أنهما[٦] معجزتان أو لا. وإنما حق ذلك الأخذ عن أهل ذلك والشهادةُ له[٧] بعد الثبات أنه من القرآن وأنه معجز؛ حق أمثالنا فيه الاتباع.[٨]

وقد اتضح بما به جرى التعارف في جميع الشرائع التي به[٩] نشهد[١٠] أنها عن الله تعالى وأنها حق، فعلى ذلك هذا. لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لم يكتبهما في مصحفه. وذلك عندنا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لم يكن سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فيهما شيئا أنهما من القرآن أم لا؛ ولم يكن أيضا رأى على نفسه السؤال عن ذلك حقا واجبا، لأن القرآن وما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يُلزم علمَ الشهادة والعملَ به واحد، إذ المقصود من كل ذلك القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسميةُ. ولم يكن النجباء يمتحنون أنفسهم بالسبر[١١] في الوجوه التي بها يعرفون المعجز من غير ذلك أنه قرآن أو غيره، وإنما ذلك من عمل المرتابين الشاكّين في خبر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليعرفوا أنه مبعوث مرسل. فأما من تقرر[١٢] عنده واطمأن به قلبه وزال عنه الحرج فيما أتاهم فقد كُفُّوا [عن][١٣] ذلك. وكذلك يجوز ترك البحث عن ذلك لما ذكرت، لا أن عنده أنهما ليستا من القرآن.

---

[١] ر: انهما؛ ن: انتهيا؛ ث - انتهتا؛ م: أنبهنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.
[٢] ر ث: بما انبهت.
[٣] ر م: في الجميع.
[٤] ر ث م: والسر. السبر: استخراج كنه الأمر بالقياس والتجربة (*لسان العرب*، «سبر»).
[٥] م - به.
[٦] ر م: أنها.
[٧] ر م - له.
[٨] ر ث م: الإيقاع.
[٩] جميع النسخ: بها.
[١٠] ر ث م: يشهد.
[١١] ر ث م: بالسر.
[١٢] ر ن م: من يقرر.
[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

وفي خبر عقبة الجهني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه:[1] «نزل اليومَ آيات لم يُرَ مثلهن قط». قيل: ما هن يا رسول الله؟ فقال: «المعوذتان»،[2] دل أنهما من القرآن.

وأيد أيضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا: «فقولوا».[3] فنحن نقول: لم نشهد في ذلك[4] بأنهما منه ولا ليستا[5] منه، بما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بهما، فعلى ذلك أمْرُ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

ويؤيد ذلك أيضا أمر استعاذة القرآن،[6] أنها[7] متقدمة[8] على القراءة. وحق هاتين السورتين لو كانتا منه بيقين أن تكونا[9] في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقرآن. فهذا أيضا بعض[10] الذي يمنع العلم[11] بحقيقة[12] ذلك عنه. وقد بينا جواز[13] وجه الإشكال. مع ما كان الإنزال لحاجة[14] العباد، وعلى ذلك جرى العمل بهما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره، فهو أمر لا يضر الجهلُ بالوجه[15] الذي ذكرت. وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: "لو علمت أن أحدا أعلم بالقرآن مني وحملتني مطيتي لأتيته".[16]

---

[1] ن + رضي الله عنهم.

[2] انظر: *صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ٢٦٤-٢٦٥؛ و*سنن الدارمي*، فضائل القرآن، ٢٦.

[3] عن زِرّ بن حُبَيْشٍ قال: سألت أُبَيَّ بْنَ كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قيل لي فقلتُ». فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (*صحيح البخاري*، التفسير ١١٣)، وانظر أيضا: ١١٤.

[4] جميع النسخ: في تلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[5] ر ث م: ولا لسنا.

[6] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (سورة النحل، ٩٨/١٦).

[7] ن: أنهما.

[8] ر م: مقدمة.

[9] ر م: أن يكون؛ ن ث: أن يكونا.

[10] م: بعد.

[11] ر ث م - العلم.

[12] ن: يحتقر.

[13] م - جواز.

[14] ر ن م: بحاجة.

[15] ر ن م + بهما؛ ث - بالوجه.

[16] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠٥/١.

وقد / روي عمن ذكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى [٩٢٩و] عليه وسلم كان يَعرض على جبرائيل عليه الصلاة والسلام كل عام مرة إلا في العام الذي قُبض عرض عليه مرتين، وقد شهدهما جميعا عبد[1] الله.[2] فلعله[3] لم يَعرض بما[4] شاء الله.[5] وإذا كان كذلك لم يكن هو ممن يَسأل في هذا الباب غيره ليثبُت عنده السماع بأنهما أُثبتا في المصحف [أم لم تثبتا]؛ فبقي قوله بحيث لا نعرف حقيقته.

ووجه آخر، [احتمل][6] أن يكون رآهما منه لكن لم يكتب لوجهين. أحدهما لِما لم يكن موضعَ الكتاب، والتدبيرُ على ما ذكرنا أن يكون في أول المصاحف، فكره أن يكتب بتدبيره ويتخير له موضعا للكتابة، فلم يكتب لذلك.[7] والثاني أنه يكتب ليَحفظ ولا ينسى،[8] وقد أمن عليهما النسيان، لأنهما بحيث يجب تلاوتهما في أوائل النهار ومبادئ الليل، وعند النوازل [التي] تقع[9] يُتعوذ[10] بهما عن كل شر وكيد على نحو الاستعاذة وأنواع الدعوات المدعوة، فلما أمن خفاءهما[11] لم يكتب. [وكذلك لو توهم ذلك في الكل]،[12] وعلى ذلك تَرك كتابة فاتحة الكتاب.[13]

والله أعلم.[14]

---

[1] ر ث ن: عند.

[2] عن بن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل في كل سنة مرة، فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين، فكانت قراءة عبد الله آخر القراءة (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٢٥).

[3] جميع النسخ: فعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[4] ر ث م: ما.

[5] أي لعل النبي عليه السلام لم يَعرض ولم يقرأ ما شاء الله عدمَ قراءته.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر م: كذلك.

[8] ن: ولا ينشي.

[9] ر م: ينفع؛ ن ث: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر م: التعوذ؛ ث: نتعوذ.

[11] ر م: خفاهما.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ن: القرآن. انظر: *الإتقان في علوم القرآن* للسيوطي، ١/٢٢٦.

[14] ن + بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين؛ ث + الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ م – والله أعلم.

سورة الناس

وهي ست آيات مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: قرئ: (قل اعوذ) بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، ونظيره: (فخذ أربعة من الطير) وأيضًا أجمع القراء على ترك الإمالة في الناس، وروي عن الكسائي الإمالة في الناس إذا كان في موضع الخفض.

المسألة الثانية: أنه تعالى رب جميع المحدثات، ولكنه ههنا ذكر أنه رب الناس على التخصيص، وذلك لوجوه: **أحدها:** أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلهم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خَطْب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم. **وثانيها:** أن أشرف المخلوقات في العالم هم الناس. **وثالثها:** أن المأمور بالاستعاذة هو الإنسان، فإذا قرأ الإنسان هذه صار كأنه يقول: يا رب يا مُلِكي يا إلهي.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ هما عطف بيان، كقوله: سيرة أبي حفص عمر الفاروق، فوصف أولاً بأنه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكًا وقد لا يكون، كما يقال: رب الدار ورب المتاع، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فلا جرم بيَّنه بقوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ثم الملك قد يكون إلهًا وقد لا يكون، فلا جرم بيَّنه بقوله: ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ لأن الإله خاص به، وهو سبحانه لا يشركه فيه غيره، وأيضًا بدأ بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه، وهو من أوائل نعمه إلى أن رباه وأعطاه العقل فحينئذٍ عرف بالدليل أنه عبد مملوك وهو ملكه، فثنى بذكر الملك، ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وعرف أن معبوده مستحق لتلك العبادة، عرف أنه إله، فلهذا ختم به، وأيضًا أول ما يعرف العبد من ربه كونه مطيعًا لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة، وهذا هو الرب، ثم لا يزال يتنقل من معرفة هذه الصفات إلى معرفة جلالته واستغنائه عن الخلق، فحينئذٍ يحصل العلم بكونه ملكًا؛ لأن الملك هو الذي يفتقر إليه غيره ويكون هو غنيًّا عن غيره، ثم إذا عرفه العبد كذلك عرف أنه في الجلالة والكبرياء فوق وصف الواصفين، وأنه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته، فحينئذٍ يعرفه إلهًا.

المسألة الرابعة: السبب في تكرير لفظ الناس أنه إنما تكررت هذه الصفات لأن عطف البيان يحتاج إلى مزيد الإظهار، ولأن هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس، لأنه سبحانه كأنه عَرَّف ذاته بكونه ربًا للناس، ملكًا للناس، إلهًا للناس ولولا أن الناس أشر مخلوقاته وإلا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربًا وملكًا وإلهًا لهم.

المسألة الخامسة: لا يجوز ههنا مالك الناس، ويجوز: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ في سورة الفاتحة، والفرق أن قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أفاد كونه مالكًا لهم فلا بد وأن يكون المذكور عقيبه هذا الملك ليفيد أنه مالك، ومع كونه مالكًا فهو ملك، **فإن قيل**: أليس قال في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ثم قال: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيلزم وقوع التكرار هناك؟ **قلنا**: اللفظ دل على أنه رب العالمين، وهي الأشياء الموجودة في الحال، وعلى أنه مالك ليوم الدين أي قادر عليه فهناك الرب مضاف إلى شيء والمالك إلى شيء آخر فلم يلزم التكرير، وأما ههنا لو ذكر المالك لكان الرب والمالك مضافين إلى شيء واحد، فيلزم منه التكرير فظهر الفرق، وأيضًا فجواز القراءات يتبع النزول لا القياس، وقد قرئ: (مالك) لكن في الشواذ.

قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ الوسواس اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال، والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه، نظيره قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦] والمراد ذو الوسواس، وتحقيق الكلام في الوسوسة قد تقدم في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠] وأما الخناس فهو الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر، كالعواج والنفاثات، عن سعيد بن جبير: إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

اعلم أن قوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ (الذي يوسوس) على أحد هذين الوجهين.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾

ففيه وجوه:

أحدها: كأنه يقول: الوسواس الخناس قد يكون من الجِنة وقد يكون من الناس، كما قال:

﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] وكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى، فشيطان الإنس يكون كذلك، وذلك لأنه يرى نفسه كالناصح المشفق، فإن زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة، وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه. **وثانيها:** قال قوم: قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ قسمان مندرجان تحت قوله في: ﴿صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ كأن القدر المشترك بين الجن والإنس يسمى إنسانًا والإنسان أيضًا يسمى إنسانًا، فيكون لفظ الإنسان واقعًا على الجنس والنوع بالاشتراك، والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه الجن والإنس ما روي أنه جاء نفر من الجن فقيل لهم: من أنتم؟ فقالوا: أناس من الجن. أيضًا قد سماهم الله رجالاً في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فجاز أيضًا أن يسميهم ههنا ناسًا، فمعنى الآية على هذا التقدير أن هذا الوسواس الخناس شديد الخنث لا يقتصر على إضلال الإنس بل يضل جنسه وهم الجن، فجدير أن يحذر العاقل شره. وهذا القول ضعيف؛ لأن جعل الإنسان اسمًا للجنس الذي يندرج فيه الجن والإنس بعيد من اللغة لأن الجن سموا جنًّا لاجتنانهم والإنسان إنسانًا لظهوره من الإيناس وهو الإبصار، وقال صاحب الكشاف: من أراد تقرير هذا الوجه فالأولى أن يقول: المراد من قوله: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ أي في صدور الناسي كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وإذا كان المراد من الناس الناسي، فحينئذٍ يمكن تقسيمه إلى الجن والإنس لأنهما هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى. **وثالثها:** أن يكون المراد أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس ومن الجنة والناس، كأنه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد، ثم استعاذ بربه من الجميع الجنة والناس.

واعلم أن لهذه السورة لطيفة أخرى: وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد، وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والمَلِك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلَّت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت، والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة «الناس»

مِثل «الفلق» لأنها إحدى المعوِّذتين. وروى الترمذيّ عن عقبة بن عامر الجُهنيّ عن النبيّ ﷺ قال: «لقد أنزل اللهُ عليَّ آياتٍ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ إلى آخر السورة». قال: هذا حديثٌ حسن صحيح[1]. ورواه مسلم[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مالكهم ومُصْلِح أُمورِهم. وإنما ذكر أنه ربُّ الناس، وإن كان ربّاً لجميع الخَلْق لأمرين:

أحدهما: لأن الناس مُعَظَّمون، فأَعْلَمَ بذكرهم أنه ربٌّ لهم وإن عُظِّموا.

الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرِّهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يُعيذ منهم. وإنما قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ لأن في الناس ملوكاً فذكر أنه مَلِكُهُم، وفي الناس من يعبد غيرَه، فذكر أنه إلههم ومعبودُهم[3]، وأنه الذي يجب أن يُستعاذ به، ويُلْجأ إليه، دون الملوك والعظماء.

قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾

يعني: مِن شرِّ الشيطان ـ والمعنى: من شرِّ ذي الوسواس؛ فحذف المضاف ـ قاله الفرّاء[4]. وهو بفتح الواو بمعنى الاسم، أي: المُوسوِس. وبكسر الواو

(١) سنن الترمذي (٢٩٠٢)، وهو في مسند أحمد (١٧٣٠٣).

(٢) في صحيحه (٨١٤).

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧٨ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٣٠٢ .

المصدر، يعني الوسوسة. وكذا الزَّلزال والزِّلزال. والوسوسة: حديث النَّفْس. يقال: وَسْوَسَتْ إليه نَفْسُه وَسْوَسةً ووِسْوسَة، بكسر الواو. ويقال لهمس الصائد والكلاب وأصوات الحُليّ: وَسْواس(١). قال ذو الرُّمة:

فباتَ يُشْئِزه ثَأْدٌ ويُسْهِرُهُ تَذَؤُّبُ الريحِ والوَسْواسُ والهِضَبُ(٢)

وقال الأعشى:

تسمع للحَلْي وَسْواساً إذا انصرفَتْ كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ(٣)

وقيل: إن الوسواسَ الخنَّاس ابنٌ لإبليس، جاء به إلى حواء، ووضعه بين يديها وقال: اكْفُلِيه. فجاء آدم فقال: ما هذا؟ قالت: جاء عدوُّنا بهذا وقال لي: اكْفُليه. فقال: ألم أَقُلْ لكِ: لا تُطيعيه في شيء، هو الذي غرَّنا حتى وقعنا في المعصية؟ وعمد إلى الولد فقطعه أربعةَ أرباع، وعلَّق كلَّ ربع على شجرة، غيظاً له. فجاء إبليس فقال: يا حواء، أين ابني؟ فأخبرته بما صنع به آدم، فقال: يا خَنَّاس، فحيِيَ فأجابه. فجاء به إلى حواء وقال: اكفُليه؛ فجاء آدم فحرَّقه بالنار، وذَرَّ رمادَه في البحر. فجاء إبليس فقال: يا حوّاء، أين ابني؟ فأخبرته بفعل آدمَ إيَّاه، فذهب إلى البحر، فقال: يا خَنَّاس، فحيي فأجابه. فجاء به إلى حواء الثالثة، وقال: اكفُليه. فنظر إليه آدم، فذبحه وشواه، وأكلاه جميعاً. فجاء إبليس فسألها فأخبرَتْه. فقال: يا خَنَّاس، فحيي فأجابه من جوف آدم وحوّاء. فقال إبليس: هذا الذي أردتُ، وهذا مسكنُك في صدر ولد آدم. فهو مُلتقِمٌ قلبَ ابن آدم ما دام غافلاً يُوسوس، فإذا ذكرَ الله لفظ قلبه وانخنس. ذكر هذا الخبر الترمذيّ الحكيم في نوادر الأصول بإسناد عن وهب بن منبه(٤). وما أظنه يصح، والله تعالى أعلم.

---

(١) الصحاح (وسوس).

(٢) ديوان ذي الرمة ١/ ٩٠ ، وفيه: تذاؤب، بدل: تذؤُّب. قال شارحه أبو نصر الباهلي: يريد: بات الثور. يُشئزه: يُقلقه. والثَّأد: الندى، تذاؤب الريح: هو أن تأتيه الريح من كل وجه. والهضب: المطر.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٠٥ ، وسلف ٩/ ١٧٥ وينظر شرحه ثمة.

(٤) نوادر الأصول ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، ولا يخفى على القارئ بطلانه.

ووُصِف بالخناس لأنه كثيرُ الاختفاء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] يعني النجوم، لاختفائها بعد ظهورها. وقيل: لأنه يَخْنِس إذا ذكر العبدُ اللهَ، أي: يتأخَّر[1]. وفي الخبر: إنَّ الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم، فإذا غَفَل وَسْوس، وإذا ذكر اللهَ خَنَسَ[2]، أي: تأخَّر وأقصر.

وقال قتادة: «الخَنَّاس» الشيطان له خُرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا غَفَل الإنسانُ وسوس له، وإذا ذكر العبدُ ربَّه خَنَس[3]. يقال: خَنَسْتُهُ فخَنَس، أي: أخَّرته فتأخر. وأَخنسته أيضاً. ومنه قول أبي العلاء الحَضْرميّ ـ أنشد رسول الله ﷺ ـ:

وإنْ دَحَسُوا بالشَّرّ فاعْفُ تَكرُّماً وإنْ خَنَسُوا عندَ الحديثِ فلا تَسَلْ[4]

الدَّحْس: الإفساد. وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطانَ واضعٌ خَطْمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خَنَس، وإذا نسي اللهَ التقمَ قَلْبَه فوسوس»[5]. وقال ابن عباس: إذا ذكر اللهَ العبدُ خَنَس من قلبه فذهب، وإذا غَفَلَ التَقم قلبه فحدَّثه ومَنَّاه[6]. وقال إبراهيم التيمِيّ: أوّل ما يبدأ الوسواس من قِبل الوضوء[7]. وقيل: سُمِّي خَنَّاسًا لأنه يرجع إذا غَفَلَ العبدُ عن ذكر الله. والخنس: الرجوعُ، وقال الراجز:

وصاحبٍ يَمْتَعِسُ امتِعاسا يزدادُ إن حَيَّيْتُه[8] خِناسا

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٧٨.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٥٤ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٥٤ - ٧٥٥ بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٥٤٨.

(٤) تهذيب اللغة ٧/ ١٧٤، واللسان (دحس).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٣٠١)، والبيهقي في الشعب (٥٤٠)، وضعف إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٤٢، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨/ ٥٣٩: غريب.

(٦) سلف قريباً بنحوه.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة كما في الدر المنثور ٦/ ٤٢٠.

(٨) في (د): جننته، وفي (ظ): خنسته، وهي غير معجمة في (ز)، والمثبت من (م)، والرجز في النكت والعيون ٦/ ٣٧٨، والبيت الثاني فيه: يزداد من خنسه خناسا.

وقد روى ابنُ جُبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغَفَل وسوس، وإذا ذكر الله تعالى خنس، فعلى هذا يكون في تأويل الخناس] وجهان[١]: أحدهما: أنه الراجع بالوسوسة عن الهدى. الثاني: أنه الخارج بالوسوسة من اليقين.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

قال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير، يجري مِن ابن آدم مجرى الدم في العروق، سَلَّطه الله على ذلك؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾. وفي الصحيح عن النبيّ ﷺ: «إنَّ الشيطانَ يجري من ابن آدم مَجرى الدَّم»[٢]. وهذا يُصحِّحُ ما قاله مقاتل.

وروى شَهْر بن حَوْشَب عن أبي ثعلبةَ الخُشَنيِّ قال: سألت الله عن أن يُريني الشيطانَ ومكانَه من ابن آدم، فرأيته، يداه في يديه، ورجلاه في رجليه، ومشاعبه في جسده؛ غير أن له خَطْماً[٣] كخطم الكلب، فإذا ذَكَر اللهَ خنس ونكس، وإذا سكت عن ذِكْر الله أخذ بقلبه. فعلى ما وصفَ أبو ثعلبة أنه متشعِّب في الجسد، أي: في كل عضو منه شعبة.

ورُوِي عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعين أنه قال ـ وقد كبِر سِنُّه ـ: ما أَمِنتُ الزنى، وما يُؤمنني أن يدخل الشيطان ذكره فَيُوتِدَه؟! فهذا القولُ يُنبئك أنه مُتشعِّبٌ في الجسد[٤]، وهذا معنى قول مقاتل.

---

(١) عبارة النسخ: وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وجهين.. وفي هذه العبارة سَقْطٌ وتحريف، والمثبت من النكت والعيون ٦/ ٣٧٩، والكلام منه، وخبر ابن عباس رضي الله عنهما سلف قريباً.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٩٢)، ومسلم (٢١٧٤) من حديث أنس ﷺ وفيه قصة، وسلف ١/ ٤٤٨ - ٤٤٩.

(٣) الخَطْم: من الدابَّة: مقدَّم أنفها وفمها. القاموس (خطم).

(٤) نوادر الأصول ص ٣٥٤.

ووسوسته: هو الدعاء لطاعته بكلام خَفِيٍّ، يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت(١).

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

أخبر أن المُوسوِس قد يكون من الناس. قال الحسن: هما شيطانان؛ أمّا شيطان الجنِّ فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطانُ الإنس فيأتي علانية(٢). وقال قتادة: إن من الجنّ شياطينَ، وإن من الإنس شياطين؛ فتعوّذ بالله من شياطين الإنس والجن(٣). وروي عن أبي ذرّ أنه قال لرجل: هل تعوَّذت بالله من شياطين الإنس؟ فقال: أوَمِن الإنس شياطين؟ قال: نعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ الآية [الأنعام: ١١٢](٤).

وذهب قومٌ إلى أن الناس هنا يُراد به الجن. سُمُّوا ناساً كما سُمُّوا رجالاً في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، وقوماً ونفراً(٥). فعلى هذا يكون «والناسِ» عطفاً على «الجِنّةِ»، ويكون التكرير لاختلاف اللفظين.

وذُكر عن بعض العرب أنه قال وهو يُحدِّث: جاء قومٌ من الجن فوقفوا. فقيل: مَنْ أَنتمْ؟ فقالوا: ناسٌ من الجن. وهو معنى قول الفرّاء(٦).

وقيل: الوسواس هو الشيطان. وقوله: «من الجِنةِ» بيان أنه من الجن، «والناسِ» معطوف على الوسواس. والمعنى: قُلْ أعوذُ بربِّ الناس من شرِّ الوسواس، الذي هو

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٧٩ بنحوه.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧٩.

(٤) ذكره مختصراً من قول أبي ذر رضى الله الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٠٣، وسلف ٨/ ٥٠٢ مرفوعاً.

(٥) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وينظر الكلام في تفسير البغوي ٤/ ٥٤٨، وزاد المسير ٩/ ٢٧٩.

(٦) في معاني القرآن ٦/ ٣٠٢، ونقله المصنف عنه بواسطة البغوي في تفسيره ٤/ ٥٤٨.

من الجِنة، ومن شرِّ الناس. فعلى هذا أمِر بأن يستعيذ بالله من شرِّ الإنس والجن(١).

والجِنَّة: جمع جِنّي؛ كما يقال: إنس وإنسيّ. والهاء لتأنيث الجماعة.

وقيل: إن إبليس يُوسوِس في صدور الجن، كما يُوسوس في صدور الناس. فعلى هذا يكون «في صدور الناس» عامًّا في الجميع، و«من الجِنة والناس» بيانٌ لما يُوسوِس في صدره.

وقيل: معنى «مِن شر الوسواس» أي: الوسوسة التي تكون من الجنة والناس، وهو حديثُ النَّفْس. وقد ثبت عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ تجاوزَ لأُمَّتِي عمَّا حدَّثَتْ به أَنْفُسَها ما لم تعملْ أو تتكلَّمْ به». رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم(٢).

فالله تعالى أعلمُ بالمرادِ من ذلك.

تمَّ الجزء الثاني والعشرون من تفسير القرطبي
وبه تمَّ الكتاب
والحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) زاد المسير ٩/ ٢٧٩ .

(٢) في صحيحه (١٢٧)، وسلف ٤/٤٨٧ وقوله: «أَنْفُسها» قال الإمام النووي في شرح مسلم ٢/ ١٤٧ : ضبط العلماء «أنفسها» بالنصب والرفع، وهما ظاهران، إلا أن النصب أظهر وأشهر.

سُورَةُ النَّاسِ

مُختَلَفٌ فيها، وآيها سِتٌّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ قُرِئَ في السُّورتينِ بحَذفِ الهمزةِ ونقلِ حركَتِها إلى اللامِ[1].

﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ لَمَّا كانت الاستعاذةُ في السُّورَةِ المُتقدِّمَةِ مِن المَضارِّ البَدنيَّةِ، وهي تعمُّ الإنسانَ وغيرَهُ، والاستعاذةُ في هذه السُّورَةِ مِن الأضرارِ التي تَعرِضُ النُّفوسَ البَشَريَّةَ وتَخصُّها= عَمَّمَ الإضافةَ ثَمَّ وخصَّصَها بالنَّاسِ هاهنا، وكأنَّه قيل: أعوذُ مِن شرِّ المُوَسوسِ إلى النَّاسِ بربِّهِم الذي يملكُ أمورَهُم ويستحقُّ عِبادَتَهُم.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ عَطْفَا بيانٍ له؛ فإنَّ الرَّبَّ قد لا يكونُ ملِكًا، والملِكُ قد لا يكونُ إلهًا.

وفي هذا النَّظْمِ دلالةٌ على أنَّه حقيقٌ بالإعادةِ قادِرٌ عليها غيرُ مَمنوعٍ عَنْها، وإشعارٌ على مراتبِ النَّاظرِ في المعارفِ؛ فإنَّه يعلمُ أوَّلًا بما يَرى عليهِ مِن النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ والباطنةِ أنَّ له رَبًّا، ثمَّ يتغلغَلُ في النَّظَرِ حتَّى يَتحقَّقَ أنَّه غَنِيٌّ عن الكلِّ،

---

(١) هي قراءة ورش. انظر: «التيسير» (ص: ٣٥).

وذاتُ كلِّ شيءٍ له، ومصارفُ أمرِهِ مِنهُ، فهُو الملكُ الحقُّ، ثمَّ يَستَدِلُّ به على أنَّه المُستَحِقُّ للعبادةِ لا غير.

وتَدرَّجَ في وجوهِ الاستعاذةِ المعتادةِ تنزيلًا لاختلافِ الصِّفاتِ مَنزِلَةَ اختِلافِ الذَّاتِ؛ إشعارًا بعظمِ الآفةِ المُستعاذِ مِنْها.

وتكريرُ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ لِمَا في الإظهارِ مِن مَزيدِ البَيانِ والإشعارِ بشَرَفِ الإنسانِ.

(٤) ـ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ أي: الوسوسةِ؛ كالزَّلزالِ بمَعنى الزَّلزلةِ، وأمَّا المصدرُ فبالكسرِ كالزِّلزالِ، والمُرَادُ به: المُوَسوِسُ؛ سُمِّيَ بفعلِهِ مُبالغَةً.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾: الذي عادَتُه أن يَخنِسَ؛ أي: يتأخَّرَ إذا ذكرَ الإنسانُ ربَّهُ.

(٥) ـ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا غَفَلُوا عن ذكرِ رَبِّهم، وذلك كالقوَّةِ الوهميَّةِ فإنَّها تُساعِدُ العقلَ في المقدِّماتِ، فإذا آلَ الأمرُ إلى النَّتيجةِ خنَسَتْ وأخذت تُوسوِسُهُ وتُشكِّكُه.

ومحلُّ ﴿ٱلَّذِى﴾ الجرُّ على الصِّفَةِ، أو النَّصبُ أو الرَّفعُ على الذَّمِّ.

(٦) ـ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانٌ لـ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أو لـ﴿ٱلَّذِى﴾، أو مُتعلِّقٌ بـ﴿يُوَسْوِسُ﴾؛ أي: يوسوسُ في صُدورِهِم مِن جِهَةِ الجنَّةِ والنَّاسِ.

وقيل: بيانٌ لـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على أنَّ المرادَ به ما يعمُّ القبيلتينِ. وفيه تعسُّفٌ إلا أن يرادَ به النَّاسي، كقولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] فإنَّ نسيانَ حقِّ اللهِ تَعالى يعمُّ الثَّقلينِ.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ قرَأَ المُعوِّذتينِ فكأنَّما قرأَ الكتبَ التي أنزلَها اللهُ تعالى»(١)(٢).

وقد اتفق إتمامُ تعليقِ سَوادِ هذا الكتابِ المُنْطوي على فَرائدِ فوائدِ ذوي الألباب، المشتملِ على خُلاصةِ أَقوالِ أَكابرِ الأئمَّة، وصَفوةِ آراءِ أَعلامِ الأمَّة، في تفسيرِ القُرآنِ وتَحقيقِ مَعانيه، والكَشفِ عن عَويصاتِ أَلفاظِه ومُعجزاتِ مَبانيه، مع الإيجازِ الخالي عن الإخلال، والتَّلخيصِ العاري عن الإملال، الموسومِ

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٧٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١١٤٢)، و«الفوائد المجموعة» (ص: ٢٩٦).

(٢) **جاء في خواتيم النسخ الخطية التي اعتمدناها في التحقيق لكتاب «تفسير البيضاوي»:**

في نسخة العلامة الفاروقي تلميذ المصنف ـ بعد قوله: «أنزلها الله تعالى» ـ والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، تم المجلد الثاني من كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل **آخر مصنفات الإمام** الأعظم المرحوم السعيد الشهيد قاضي قضاة المسلمين والحق والدين أبي سعيد عبد الله بن الإمام المعظم المغفور إمام الحق والدين عمر البيضاوي قدس الله أرواحهما المطهرة وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خيرا مع المجلد الأول على يدي العبد المذنب الفقير إلى رحمة الله تعالى عبد الصمد بن محمود بن عبد الصمد الفاروقي في أواسط جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وست مئة، **وقد انخرط المصنف سقى الله ثراه ورضي عنه وأرضاه في سلك الجواهر القدسية بتبريز متعريًا** عن جلباب الجسمية **في شوال لسنة إحدى وتسعين وست مئة**، أسأل الله تعالى له الرضوان ولنفسي الرحمة والغفران، والحمد لله حمدًا يكافي نعمه ويوافي مزيده وصلواته على محمد وآله».

وفي نسخة العلامة الخيالي: «والله أعلم تم النصف الأخير من هذا التفسير بعون الملك القدير في أواخر ذي القعدة من سنة ست وخمسين وثمان مئة هجرية».

وفي نسخة العلَّامة ناصرِ الدين الطبلاوي: «والله أعلم تم أنوار التنزيل وأسرار التأويل، والحمد لله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم». وجاء على هامشها: «بلغ مقابلة على أصل صحيح، فصحَّ إن شاء الله وصار للناظر مريح».

بـ«أنـوارِ التَّنزيل وأسـرارِ التَّأويـلِ»[1] في آخر شـهرِ التَّوبةِ جمادى الآخرِ سـنةَ إحدى وتسـعين وسـتّ مئة.

وأسألُ الله تعالى أن يَعُمَّ نفعُه للطُّلابِ، ولا يُخلِّي سعيَ مَن يتعبُ فيه من الأجرِ والثَّواب، ويختم كلَّ خاتمةِ أمري يومَه بتمحيصي عن الآثامِ وتبليغي أعلى منازلِ دارِ السَّلام في جوارِ العليِّين مع النَّبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً، وهو سبحانه حقيقٌ بأنْ يحقِّقَ رجاءَ الرَّاجينَ تحقيقاً.

***

---

(١) من قوله: «وقد اتفق إتمام...» إلى هنا كذا جاء في خاتمة نسخة العلَّامة التفتازاني بخطِّه، وقد انخرم تتمة كلامه في النسخة، وأتممناه من نسخة السلطان أحمد برقم (٣٦) وهي خاتمة مهمة متضمنة لتاريخ تأليف الكتاب.

سورة الناس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ الآية، تقدم أنها نزلت مع ما قبلها[2]. وأضيف الربّ إلى «الناس» لأن الاستعاذة من شرّ الموسوِس في صدورهم، فهم استعاذوا[3] بربّهم مالكهم وإلههم، كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهمه أمر.

والظاهر أن ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ صفتان.

و﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ الراجع على عقبه المستتر أحياناً، وذلك في الشيطان متمكن: إذا ذكر العبدُ اللهَ تأخّر.

و«مِن» في ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ للتبعيض، أي: كائناً من الجنة والناس، فهو في موضع الحال، أي: ذلك الموسوس هو بعض الجنّة وبعض الناس. «وكان عليه السلام إذا أوى إلى فراشه جمع كفّيه ونفث فيهما وقرأ

(١) مدنية وهي ستّ آيات.

(٢) انظر شرح الآية الأولى من الفلق.

(٣) ق: استعانوا.

«قل هو الله أحد» والمعوذتين، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً»[1]. تمت[2].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ناشَدْتُكَ اللهَ إنْ عايَنْتَ لي خطأً فَاَسْتُرْ فإنّ خيارَ الناسِ مَن سَتَرا

[من البسيط]

(١) أخرجه أبو داود ٤ : ٣١٣ من حديث عائشة.

(٢) ما بعده يبدو أنه من إضافة الناسخ.

سورة الناس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

تقدَّم أنَّها نزلت مع ما قبلها، والخلاف أهي مدنية أم مكية.

وأُضيف «الربُّ» إلى الناس؛ لأنَّ الاستعاذة من شرِّ الموسوس في صدورهم، فهم استغاثوا بربهم مالكهم وإلههم كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهَمَه أمرٌ.

والظاهر أنَّ «ملكِ الناس إله الناس» صفتان. وقال الزمخشري[1]: هما عطفا بيان، كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق، بُيِّنَ بـ «ملك الناس»، ثمَّ زِيدَ بياناً بـ «إله الناس»؛ لأنَّه قد يُقال لغيره: رب الناس، كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد يُقال: ملك الناس؛ وأمَّا «إله الناس» فخاصٌّ لا شركةَ فيه، فجُعِلَ غايةً للبيان. انتهى.

وعطفُ البيان المشهور أنَّه يكون بالجوامد، وظاهر قوله: إنَّهما عَطْفا بيان لواحدٍ، ولا أنقل عن النُّحاة شيئاً في عطف البيان هل يجوز أن يتكرَّرَ لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز؟

وقال الزمخشري: فإن قلت: فهلَّا اكتُفيَ بإظهار المضاف إليه الذي هو «الناس» مرَّةً واحدة؟ قلت: لأنَّ عطف البيان للبيان فكان مَظِنَّةً للإظهار دون الإضمار. انتهى.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٣٠٢، وما قبله منه.

والوسواس؛ قالوا: اسمٌ من أسماء الشيطان. والوسواس أيضاً: ما تُوسوس به شهوات النفس، وهو الهوى المنهيُّ عنه. والخنَّاس: الراجعُ على عَقِبِه المستترُ أحياناً، وذلك في الشيطان مُتمكِّن، إذا ذكر العبدُ الله تعالى تأخَّر، وأمَّا الشهواتُ فتخنس بالإيمان، وبلمَّةِ المَلك، وبالحياء، فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس، ويكون معنى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾: من الشياطين ونفوس الناس، أو يكون «الوسواس» أُريدَ به الشيطان[١] والمعنى[٢]: المُزيِّن من قرناء السوء، فيكون ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ تبييناً لذلك الوسواس؛ قال تعالى: ﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال قتادة: إنَّ من الإنس شياطينَ، ومن الجنِّ شياطينَ، فنعوذُ بالله منهم[٣]. وقال أبو ذر لرجل: هل تعوَّذت من شياطين الإنس؟[٤]

وقال الزمخشري[٥]: الوسواس: اسمٌ بمعنى الوَسْوَسة، كالزِّلزال بمعنى الزَّلْزَلة، وأمَّا المصدر ف «وِسْواس» بالكسر ك: زِلْزال، والمرادُ به الشيطان؛ سُمِّيَ بالمصدر كأنَّه وسوسةٌ في نفسه؛ لأنَّها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكفٌ عليه، أو أُريد: ذو الوسواس. انتهى.

وقد تكلَّمنا معه في دعواه أنَّ الزَّلزال بالفتح اسمٌ، وبالكسر مصدر في ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾.

ويجوز في «الذي» الجرُّ على الصِّفة، والرَّفع والنَّصب على الشتم. و«من» في «مِن الجنة والناس» للتبعيض، أي: كائناً من الجِنَّة والناس، فهي في موضع الحال، أي: ذلك المُوَسْوِس هو بعضُ الجِنَّة وبعضُ الناس.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤٠ بنحوه.

(٢) في (أ) والمطبوع: والمغري.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٧٩. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٢١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨١٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢١٥٤٦)، والنسائي ٨/ ٢٧٥، وفي إسناده مجهول ومتروك.

(٥) في الكشاف ٤/ ٣٠٢.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن يكون «من» متعلّقاً بـ «يُوَسْوِس»، ومعناه ابتداءُ الغاية، أي: يُوَسْوِسُ في صدورهم من جهة الجِنَّة ومن جهة الناس. انتهى.

ولـمَّا كانت مَضرَّةُ الدِّين ـ وهي آفة الوَسْوَسة ـ أعظمَ من مضرَّة الدنيا وإن عظُمَتْ، جاء البناءُ في الاستعاذة منها بصفاتٍ ثلاث؛ الرَّبِّ والملِكِ والإله، وإنِ اتَّحَد المطلوب، وفي الاستعاذة من ثلاث؛ الغاسق والنَّفاثاتِ والحاسدِ بصفةٍ واحدة وهي الرَّبّ، وإن تكثَّر الذي يُستعاذُ منه[٢].

كان رسولُ الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمعَ كفَّيه ونفَثَ فيهما وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذتين، ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً[٣]. صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً[٤].

(١) في الكشاف ٤/ ٣٠٣، وما قبله منه بنحوه.
(٢) تفسير الرازي ٢٢/ ١٩٩ بنحوه.
(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧)، وأبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي (٣٦٩٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٧٥)، وأحمد (٢٤٨٥٣) من حديث عائشة ﵂.
(٤) جاء بعدها في نسخة عاطف أفندي (ع) ما نصه: «تمَّ البحر المحيط تفسير القرآن العظيم بتمامه، ولله الحمد والمِنَّة، وذلك في الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، من عام ثمانٍ وأربعين وسبع مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، آمين آمين.
وجاء بعدها في النسخة الحميدية (ح) ما نصه: «نجز الجزء الرابع من تفسير البحر لأبي حيان لمولانا أفندي حسين المولّى بمصر المحروسة في يوم الأحد المبارك، ثاني شهر رجب الفرد، سنة ثمانٍ وثمانين وتسع مئة، على يد العبد الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير شهاب الدين بن أحمد بن شهاب الدين الدنوشري الغمري، غُفر له ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، آمين آمين».

(١١٤) سورة الناس مكية وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عزَّ وجلَّ : (الربوبية) و (الملك) و (الإلهية) ، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش . ولا يألوه

جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله، وقد ثبت في الصحيح: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير». وثبت في الصحيحين «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً - أو قال - شراً»[1]. وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن أنس بن مالك، قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»[2]. وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب، قال ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وقوله تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر، أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ النـاس تغليباً، وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ ثم بيّنهم فقال: ﴿من الجنة والناس﴾ وهذا يقوي القول الثاني، وقيل قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾، وكما قال الإمـام أحمد عن أبي ذر قـال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن». قال، فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم»[3]، وروى الإمام أحمد، عن ابن عباس قال، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء، لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به، قال، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»[4]

[آخر التفسير ، وقد تم والحمد لله رب العالمين]

* * *

استدراك : الحديث الوارد عند قوله تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ من سورة البقرة ص ٢٢٦/ج١ وهو قوله ﷺ: «الأبدال في أمتي ثلاثون، بهم ترزقون، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون» لم تشر النسخ المطبوعة والمخطوطة إلى ضعفه. وقد أرشدني **فضيلة الشيخ عبد الله ابن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام** إلى أن الحديث ضعيف وأنه قد وجد ذلك

---

(١) أخرجه الشيخان في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف فلقيه رجلان فقال: «على رسلكما إنها صفية» الحديث.

(٢) أخرجه الحافظ الموصلي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة بلفظ أطول.

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي.

في نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم الشريف، وقد رجعت بنفسي إلى المخطوطة فوجدت النص التالي : « روى أبو بكر بن مردويه بسنده عن ثوبان – رفعَ الحديث – قال : لا يزال بكم سبعة تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله » . ثم ذكر بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ « لا يزال في أُمتي ثلاثون . بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون » قال قتادة : وإني لأرجو أن يكون الحسن منهم . وهذان الحديثان ضعيفان وإسناد كل منهما لا يثبت . هكذا ورد في النسخة المخطوطة ج ١ ص ٦٤٦ ومع ملاحظة الفرق بين اللفظين (الأبدال في أُمتي ثلاثون) في النسخة المطبوعة و (لا يزال في أُمتي ثلاثون) الخ في المخطوطة فقد رأينا التنبيه إلى ذلك **وشكر الله لفضيلة الشيخ بن حميد مسعاه ، وجزاه الله على إرشاده الكريم خير الجزاء .**

وكتبه محمد علي الصابوني

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ .

هذه ثلاث صفات [١] من صفات الرب ، عز وجل ؛ الربوبية ، والملك ، والإلهية : فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة عبيد له ، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ،وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بنى آدم إلا وله قرين يُزَين له الفواحش ، ولا يألوه جهداً فى الخبال . والمعصوم من عَصَم الله، وقد ثبت فى الصحيح أنه : « ما منكم من أحد إلا قد وُكل به قرينة » . قالوا : وأنت يا رسول الله؟ قال : « نعم ، إلا أن الله أعاننى عليه ، فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير » [٢] ، وثبت فى الصحيح ، عن أنس فى قصة زيارة صفية النبى ﷺ وهو معتكف ،وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها ، فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال رسول الله : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حُيى » .فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله . فقال :« إن الشيطان يجرى من ابن آدم[٣] مجرى الدم ،وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً ، أو قال : شراً » [٤] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا محمد بن بحر ، حدثنا عدى بن أبى عمَارة ، حدثنا زياداً [٥] النّميرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان واضع خطمه [٦] على قلب ابن آدم ، فإن ذكر [٧] خَنَس ، وإن نسى [٨] التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس »[٩] . غريب.

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ،حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا تميمة يُحَدث عن رَديف رسول الله ﷺ قال : عَثَر بالنبى ﷺ حمارهُ ، فقلت : تَعس الشيطان. فقال النبى ﷺ: « لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت : تعس الشيطان ، تعاظَم ، وقال : بقوتى صرعته ، وإذا قلت : باسم الله ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب » [١٠].

تفرد به أحمد ، إسناده [١١] جيد قوى ، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب ، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفى ، حدثنا الضحاك بن عثمان ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدكم إذا كان فى المسجد ، جاءه الشيطان فأبس

---

(١) فى هـ : « صفة » والمثبت من م ، أ .
(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٨١٤) من حديث عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه .
(٣) فى أ : « من الإنسان » .
(٤) صحيح مسلم برقم (٢١٧٤) وهو فى صحيح البخارى برقم (٢٠٣٥،٦٢١٩،٧١٧١) من حديث صفية ، رضى الله عنها .
(٥) فى م : « زياد » وهو الصواب .
(٦) فى أ : « خرطومه » .
(٧) فى أ : « ذكر الله » .
(٨) فى أ : « نسى الله » .
(٩) مسند أبى يعلى (٧/٢٧٨،٢٧٩) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/٧٤٢) : « إسناده ضعيف » ؛ وذلك لضعف زياد النميرى والكلام فى عدى بن أبى عمارة .
(١٠) المسند (٥/٥٩) .
(١١) فى م : « إسناد » .

به كما يُبَس الرجل بدابته ، فإذا سكن له زنقه ـ أو : ألجمه » . قال أبو هُرَيرة : وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً ـ كذا ـ لا يذكر الله ،وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله ، عز وجل . تفرد به أحمد (١) .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ،قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خَنَس . وكذا قال مجاهد ،وقتادة .

وقال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : ذُكرَ لى أن الشيطان ، أو : الوسواس ينفث فى قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح ،فإذا ذكر الله خنس .

وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله: ﴿ الْوَسْوَاسِ ﴾ ،قال : هو الشيطان يأمر ، فإذا أطيع خنس.

وقوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ، هل يختص هذا ببنى آدم ـ كما هو الظاهر ـ أو يعم بنى آدم والجن ؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا فى لفظ الناس تغليبا .

وقال ابن جرير : وقد استعمل فيهم (رجَالٌ منَ الجنَ) فلا بدع فى إطلاق الناس عليهم .

وقوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ،هل هو تفصيل لقوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ، ثم بينهم فقال : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾. وهذا يقوى القول الثانى. وقيل قوله: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾، تفسير للذى يُوسوس فى صدور الناس ، من شياطين الإنس والجن ،كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وكما قال الإمام أحمد :

حدثنا وَكِيع ، حدثنا المسعودى ، حدثنا أبو عُمَر الدمشقى ، حدثنا عبيد بن الخشخاش ، عن أبى ذر قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فجلست،فقال : « يا أبا ذر ، هل صليت؟». قلت: لا .قال: « قم فصل » . قال : فقمت فصليت ، ثم جلست فقال : « يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » .

قال : قلت : يا رسول الله ، وللإنس شياطين ؟ قال : « نعم » . قال : قلت : يا رسول الله، الصلاة ؟ قال : « خير موضوع ، من شاء أقل ، ومن شاء أكثر » . قلت : يا رسول الله فما الصوم ؟ قال : « فرض يجزئ ، وعند الله مزيد » .قلت : يا رسول الله ، فالصدقة ؟ قال : «أضعاف مضاعفة » . قلت : يا رسول الله ، أيها (٢) أفضل ؟ قال : « جُهد من مُقل ، أو سر إلى فقير». قلت :يا رسول الله ، أى الأنبياء كان أول ؟ قال :« آدم ». قلت : يا رسول الله ،ونبى (٣) كان ؟ قال : « نعم ، نبى مُكلَّم » . قلت : يا رسول الله ،كم المرسلون ؟ قال : « ثلثمائة وبضعة عشر ، جَمّاً غَفيراً ». وقال مرة : « خمسة عشر » . قلت : يا رسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم؟

(١) المسند (٢/ ٢٣٠) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٤٢) : « رجاله رجال الصحيح » .
(٢) فى م : « فأيها » . (٣) فى م : « ونبياً » .

قال : « آية الكرسى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ » .

ورواه النسائى ، من حديث أبى عمر الدمشقى ، به (١). وقد أخرج هذا الحديث مطولاً جداً أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، بطريق آخر ، ولفظ آخر مطول جداً (٢) ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ذر بن عبد الله الهَمْدانى ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أحدث (٣) نفسى بالشىء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به . قال : فقال النبى ﷺ : «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » .

ورواه أبو داود والنسائى،من حديث منصور ــ زاد النسائى: والأعمش ــ كلاهما عن ذر ،به(٤).

آخر التفسير ، ولله الحمد والمنة ، والحمد لله رب العالمين(٥). وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (٦) . ورضى الله عن الصحابة أجمعين (٧). حسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الفراغ منه فى العاشر من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثمانين . والحمد له وحده(٨) .

---

(١) المسند (٥/ ١٧٨) وسنن النسائى (٨/ ٢٧٥) .

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٩٤) « موارد » ، (١/ ٢٨٧) « الإحسان » من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى ، عن أبيه عن جده ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ذر ، رضى الله عنه ، وقد قال ابن عدى عن هذا الحديث : « هذا الحديث منكر من هذا الطريق » .

(٣) فى م : « لأحدث » .

(٤) المسند (١/ ٢٣٥) وسنن أبى داود برقم (٥١١٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٠٣) .

(٥) فى أ : « والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى » .

(٦) فى أ : « وسلم تسليماً أبداً دائماً إلى يوم الدين » .

(٧) فى أ : « ورضى الله عن أصحاب رسول الله » .

(٨) فى م :« آخر التفسير ويليه فضائل القرآن للمؤلف أيضاً ،وبه يتم الكتاب إن شاء الله ،ولله الحمد والمنة على التمام، إنه ولى الإنعام».

وقد جاء فى خاتمة النسخة « هـ » هذه الخاتمة للناسخ :

« الحمد لله الذى رفع السماء بغير عماد ، وبسط الأرض وثبتها بالأطواد ، ومنح معرفته ومحبته من شاء من العباد ، وأقام لدينه أولياء ينصرونه ويقومون به ، وجعل منهم النجباء والأقطاب والأوتاد ، وأعلى منار الدين بالعلماء العاملين ، وأوضح بهم طرق الرشاد ، وقَمَع بهم أهل الزيغ والأهواء والبدع والفساد ، وثبت لهم دينهم بالنقل عن نبيهم بصحيح الإسناد ، ونفى عنهم التدليس والشذوذ والانفراد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، المتعالى عن الشركاء والنظراء والأنداد ، المنزه عن الحلول والاتحاد والإلحاد .

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ، وحبيبه وخليله ، سيد العباد ، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأنجاد ، وصحابته السادة الأبرار الأمجاد ، صلاة تدوم وتقوم ما قامت السموات والأرض بأمره ، وقابل البياض السواد .

وبعد ، فقد أمرنى السيد الجليل ، من وصل الله له جناح الصنيع الجميل ، وواصل عليه السُّول ، وأوصل إليه المأمول ، وعَمّر بحبه ربوع أنسى ، وأمطر بفيضه ربيع نفسى ، مولانا وسيدنا العبد الفقير إلى الله سبحانه الآمل الراجى عفوه الكريم وإحسانه ، قاضى القضاة ، حاكم الحكام ،نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين، سيد العلماء فى العالمين ، بهاءُ الملة ، لسانُ الشريعة ،عزّ السنة ، حصنُ الأمة، خطيب الخطباء ، إمام البلغاء ، غرة الزمان ، ناصر الإيمان شيخ شيوخ العارفين ، أبو حفص عمر ــ ابنُ سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى ــ الشيخ الإمام العلامة ، والحَبْر الفهامة ، قدوة العلماء العاملين ، أبى محمد حجى السعدى الشافعى ــ أمر ــ أعلى الله أمره ، وأسد قدره ، من لا يتقلب إلا فى طاعته ، ولا يتصرف إلا فى مرضاته ــ أن يُكتَبَ برسم خزانة تفسيرُ الإمام العالم الكبير ، العلامة عماد الدين ابن كثير ــ رحمه الله وأرضاه ، وجعل بحبوحة الجنة مقره ومثواه . فامتثلت أمره بالسمع والطاعة ،=

= وعددت هذا الأمر من أنفس البضاعة ، مع أنى فى الكتابة قليل الصناعة . فكتبت قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه . فإن صادفت قبولاً وبلغت مأمولاً، فيكون سعدى سعيداً ، ويقع سهمى سديداً . . .

فَإن وَقَفَتْ بى قُدْرَتى دُونَ هِمَتى فمبلغَ علْمى والمعاذيرُ تُقْبَلُ

قد جمعت هذه الخزانةُ الشريفةُ أشتات العلوم على الإطلاَق ، من رام مثلها فهو مُقَصر عن روم أسباب اللَّحاق، خصوصاً إذا كان بها هذا التفسير الذى مادته سُنَن المصطفى المنبه على جوامع ما يزداد اللبيب بها بصيرة فى علمه النافع ، إذ كان ﷺ قد أوتى جوامع الكلام ، وعلّم فصل الخطاب . فلم يسمع الناس كلاماً أعم نفعا ، ولا أقصر لفظاً ، ولا أعدل وفراً ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً . ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ﷺ .

فلله درُ مولانا ؛ إذا جمع الفضائل ، ونظم آحاد العقائل ، وحاز من العلم الذرى والغوارب . فلا يخفى على ذى لب أنه أغرقَ فى الفهم فُصولاً ، وأعرق فى العلم أصولاً ، فأقول مختصراً ، وعما يليق بمدحه معتذراً ، عسى يمر به من تضاعيف ثنائى عليه ما يبلغنى به الزلفى فى حبه ، والقربى من قلبه ، وتلك أمنيتى حين القى منيتى ، لا أتعداها ، ولا أتمنى سواها ولله در القائل :

إذا ابنُ حجى حادت لنا يده لم يُحمد الأجودان البحر والمطرُ
وَإن أضاءت لنا أنوارُ غُرته تضاءل الأنوران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جَدَ عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يبت حذراً من خوف سطوته لم يدر ما المزعجان: الخوف والحذر؟
كأنه الدهر فى نعمى وفى نقم إذا تعاقب منه النفع والضرر
كأنه وزمام الدهر فى يده يدا عواقب ما يأتى وَمَا يذَر

فالحمد لله الذى جعل جمال منظرك موازيا لكمال مخبرك ، وشامخ فَرعكَ مقارناً لراسخ عنصرك ، والله حسبى فيك من كل ما يُعَوَذ العبد به المولى :

واسلم وعش لا زلت فى نعمة أنت بها من غيرك الأولى

وصَلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير محمد بن على الصوفى البواب ، لمنعاه التضائية ، بدمشق المحروسة ، حامداً ومصلياً ، ومحسبلاً ومحوقلاً ، والحمد لله وحده » .

يقول الفقير إلى عفو ربه سامى بن محمد بن عبد الرحمن بن سلامة : وكان الانتهاء من تحقيق تفسير القرآن العظيم فجر يوم الأربعاء الثانى من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية فى مدينة الرياض ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

هذه الصفات[١] من صفات الرب -عز وجل- الربوبية، والملك، والإلهية. فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة[٢] له. مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَيِّن له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال. والمعصوم من عَصَم الله.

وقد ثبت في الصحيح أنه [ﷺ قال] : «ما منكم[٣] من أحد إلا قد وُكل به قرينهُ». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»(٥٤).

وثبت في الصحيح(٥٥)، عن أنس في قصة زيارة صفية للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسرعا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي».

فقالا: سبحان الله! يا رسول الله. فقال: «إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا. أو قال: شرًا».

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي(٥٦) : حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمارة،

(٥٤) - صحيح مسلم رقم (٢٨١٤) كتاب صفات المنافقين.

(٥٥) - صحيح البخاري رقم (٦٢١٩) كتاب الأدب. ومسلم رقم (٢١٧٥) كتاب السلام.

(٥٦) - مسند أبي يعلى في مسنده (٢٧٨/٧، ٢٧٩) رقم (٤٣٠١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٢) ثم قال: رواه ابو يعلى وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف. اهـ. قلت: وفيه أيضًا زيادة النميري ضعيف.

[١] - في خ: ثلاث صفة.

[٢] - سقط من خ.

[٣] - بعده في ز: له.

حدثنا زياد النّميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خَنَس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس». غريب.

وقال الإمام أحمد(٥٧): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تميمة[١] يُحدّث عن رَديف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حمارُه، فقلت: تَعس الشيطان! فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال. بقوتي صرعته. وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب».

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد(٥٨): حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سَعيد المقبري، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: «إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبَس[٢] (٥٩) به كما يُبَسُّ[٣] الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه(٦٠) - أو: ألجمه» - قال أبو هُرَيرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلًا - كذا - لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل. تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾، قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذُكرَ لي أن الشيطان، أو الوسواس ينفث في قلب [ابن آدم][٤]عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس﴾، قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس.

(٥٧) - المسند (٥/٥٩). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٣٤، ١٣٥) وقال: رواه أحمد بأسانيد. ورجالها كلها رجال الصحيح.

(٥٨) - المسند (٢/٣٣٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجال امد رجال الصحيح.

(٥٩) - أبس به: أي قُهر وغلب.

(٦٠) - زنقه: أي ضيق عليه.

[١] - في خ: تميم.

[٢] - في خ: فأنس.

[٣] - في خ: ينس.

[٤] - في خ: الإنسان.

وقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾، هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعمّ بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبًا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم ﴿رِجَالٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾، هل هو تفصيل لقوله ﴿الذى يوسوس في صدور الناس﴾، ثم بينهم فقال: ﴿من الجنة والناس﴾. وهذا يقوي القول الثاني.

وقيل: قوله: ﴿من الجنة والناس﴾، تفسير للذي يُوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾، وكما قال الإمام أحمد(٦١):

حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عُمر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يا أبا ذر، هل صليت؟». قلت: لا. قال: «قم فصل». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر[١] شياطين الإنس والجن».

قال[٢]: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر». قلت: يا رسول الله. فالصوم؟ قال: «فرض مجزئ[٣]، وعند الله مزيد[٤]».

قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أضعاف مضاعفة». قلت: يا رسول الله، فأيها[٥] أفضل؟ فقال[٦]: «جُهد من مُقل، أو سرّ إلى فقير». قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله، ونبي[٧] كان؟ قال: «نعم، نبي مكلم[٨]». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر، جمًّا غفيرًا». وقال مرة: «خمسة عشر» - قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

ورواه النسائي(٦٢)، من حديث أبي عمر الدمشقي، به. وقد أخرج هذا الحديث مطولًا جدًّا

(٦١) - المسند (١٧٨/٥) وأخرجه أيضًا (١٧٩/٥) من طريق يزيد عن السعودي به.

(٦٢) - سنن النسائي مقتصرًا على ذكر الاستعاذة فقط (٣١٦/٨) كتاب الاستعاذة.

[١] - سقط من خ.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في خ: يجزئ.
[٤] - في ز، خ: يزيد.
[٥] - في خ: أيها.
[٦] - في ت: قال.
[٧] - في ز: ومتى.
[٨] - في ز: تكلم.

أبو حاتم بن حبان في صحيحه [٦٣]، بطريق آخر، ولفظ آخر مطول جدًا، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٦٤] : حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن ذَرّ بن عبد الله الهَمْداني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله؛ إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به. قال: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة».

ورواه أبو داود والنسائي [٦٥]، من حديث منصور - زاد النسائي: والأعمش - كلاهما عن ذر، به.

آخر التفسير، ولله الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

(٦٣) - الإحسان (٧٦/٢) رقم (٣٦١٠). وأبو نعيم في الحلية (١٦٦/١- ١٦٨). وفيه إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني الدمشقي. قال أبو حاتم: كذاب كما في الجرح والتعديل (١٤٢٩/٢) وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب كما في ميزان الاعتدال (٧٣٩/١) وقال الذهبي عنه أيضًا: إبراهيم بن هشام: أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان فلم يصب. الميزان (٣٧٨/٤).

(٦٤) - المسند (٢٣٥/١).

(٦٥) - سنن أبي داود رقم (٥١١٢) كتاب الادب. والنسائي في اليوم والليلة رقم (٦٦٨، ٦٦٩).

سورة الناس

مدنيّة،[1] وهي ستّ آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وقُرئَ في السورتين بحذف الهمزة، ونقل حركتها إلى "اللام".[2] ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مالك أمورهم ومربّيهم، بإفاضة ما يصلحهم، ودَفْع ما يضرُّهم.

وقوله تعالى:﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ عطف بيان، جيء به لبيان أنّ تربيته تعالى إيّاهم ليست بطريق تربية سائر المُلّاك / لِما تحت أيديهم مِن مماليكهم؛ بل بطريق المُلك الكامل، والتصرّف الكلّي، والسلطان القاهر. [٣٢٨ظ]

وكذا قوله تعالى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ فإنّه لبيان أنّ مُلكه تعالى ليس بمجرّد الاستيلاء عليهم، والقيامِ بتدبير أمور سياستهم، والتولّي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك؛ بل هو بطريق المعبوديّة المؤسَّسة على الألوهيّة المقتضية للقدرة التامّة على التصرّف الكلّي فيهم إحياءً وإماتةً وإيجادًا وإعدامًا. وتخصيص الإضافة بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مع انتظام جميع العاملين في سِلك ربوبيّته تعالى وملكوته وألوهيّته للإرشاد إلى منهاج الاستعاذة المرضيّة عنده تعالى الحقيقةِ بالإعاذة؛ فإنّ توسّل العائذ بربّه وانتسابَه إليه تعالى بالمربوبيّة والمملوكيّة والعبوديّة في ضمن جنس هو فرد مِن أفراده مِن دواعي مزيدِ الرحمة والرأفة، وأمرُه تعالى بذلك مِن دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالةَ، ولأنّ المستعاذ منه شرُّ الشيطان المعروف بعداوتهم.

---

[1] س: مختلف فيها.

[2] قرأ بها ورش. النشر لابن الجزري، ١/٤٠٨.

ففي التنصيص على انتظامهم في سِلك عبوديّته تعالى وملكوته رمزٌ إلى إنجائهم مِن مَلَكة الشيطان وتسلّطِه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر، ٤٢/١٥]، فمَن جَعَل مدار تخصيص الإضافة مجرَّدَ كون الاستعاذة مِن المضارّ المختصّة بالنفوس البشريّة، فقد قصّر في توفية المقام حقَّه، وأمّا جعلُ المستعاذ منه فيما سبق المضارّ البدنيّة فقد عرفتَ حاله، وتكريرُ المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة، وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأمّا المصدر فبالكسر، والمراد به الشيطان، سُمّي بفعله مبالغة؛ كأنّه نفس الوسوسة. ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس، أي: يتأخّر إذا ذَكَر الإنسان ربّه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا غفَلوا عن ذكره تعالى. ومحلُّ الموصول إمّا الجرّ على الوصف، وإمّا الرفع أو النصب على الذمّ.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان لـ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ على أنّه ضربان: جِنّي وإنسي،
[٣٢٩و] / كما في[١] قوله[٢] تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام، ١١٢/٦]، أو متعلّق بـ﴿يُوَسْوِسُ﴾، أي: يوسوس في صدورهم مِن جهة الجِنّ ومِن جهة الناس. وقد جُوِّز أن يكون بيانًا لـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على أنّه يُطلَق على الجنّ أيضًا حسب إطلاق "النفر" و"الرجال" عليهم،[٣] ولا تعويلَ عليه.[٤]

وأقرب منه أن يُراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الناسي، ويُجعَلَ سقوط "الياء" كسقوطها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر، ٦/٥٤]، ثمّ يُبيّن بـ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، فإنّ كلّ فرد مِن أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حقّ الله سبحانه،[٥] إلّا مَن تداركَه شوافعُ عصمته، وتناولَه واسعُ رحمته، عصمَنا الله عزّ وجلّ مِن الغفلة عن ذِكره، ووفّقَنا لأداء حقوق شكره.

---

١ س – في.
٢ س: قال.
٣ كما في الآية الأولى والسادسة مِن سورة الجنّ.
٤ هذا الوجه وتفصيل تضعيفه مذكور في الكشّاف للزمخشري، ٦٢٧/٤.
٥ هذا الوجه مع تقويته مذكور في الكشّاف للزمخشري، ٦٢٧/٤.

١١٤

سُورَةُ النَّاسِ

مكية أو مدنية، ستٌّ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُل: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: خالقِهم ومالكهم ـ خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم ومناسبةً للاستعاذة من شرّ المُوَسوِس في صُدورهم ـ ٢ ـ ٣ ـ ﴿مَلِكِ النَّاسِ، إِلَـٰهِ النَّاسِ﴾: بدلان أو صفتان أو عطفا بيان، وأُظهِر المضافُ إليه فيهما زيادةً للبيان، ٤ ـ ﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ﴾ أي: الشيطان سُمِّي بالحدَث لكثرة مُلابسته له ﴿الخَنَّاسِ﴾ لأنه يخنِس: يتأخّر عن القلب كُلّما ذُكر اللهُ، ٥ ـ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: قُلوبهم إذا غفَلوا عن ذِكر الله، ٦ ـ ﴿مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: بيانٌ للشيطان المُوَسوِس أنه جنّيٌّ وإنسيّ كقوله تعالى:

قولُهُ: (خَالِقِهِم) قالَ البيضاويُّ[1]: قُرِئَ في السُّورَتينِ بحذفِ الهمزَةِ ونقلِ حركَتِها إلى اللَّامِ، والحالُ أنَّه قراءَةٌ مُتواتِرَةٌ لورش، وقاعدَةٌ مُطَّرِدَةٌ له وَقفاً ووَصلاً، ولحمزَةَ وَقفاً[2].

قولُهُ: (في صُدُورِهِم) وكأنَّهُ قيل: أعوذُ من شرِّ الموسوِسِ إلى النَّاسِ بربِّهِم الذي يملكُ أمورَهُم ويستحِقُّ عِبادَتَهم.

قولُهُ: (أو عَطفاً بَيَانٍ) الظَّاهِرُ: عَطفَا بَيَانٍ.

قولُهُ: (زِيَادَةً للبَيَانِ) وإشعاراً بشرَفِ الإنسانِ، وقيل: المرادُ بالأوَّلِ: الأطفالُ ويلائمُهُ معنى التَّربِيَةِ، والثَّاني: الشَّبابُ ويُطابقُهُ معنى السَّلطنَةِ والسِّياسَةِ، والثَّالث: الشُّيوخُ ويناسبُهُ معنى العبوديَّةِ للألوهيَّةِ.

قولُهُ: (سُمِّيَ) أو أريدَ.

قولُهُ: (بالحَدَثِ) أي: بفعلِهِ مُبالغَةً، أو معناهُ: الموَسوِسُ.

قولُهُ: (بَيَانٌ للشَّيطَانِ) أو الذي هذا، وقالَ الجاربردِيُّ في حاشيتِهِ على «الكشاف»[3]: واختِتامُهُ بالاستعاذَةِ

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٥٠). (٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ١٨٥، ٢٣٧).

(٣) هذه الحاشية لم تطبع بعد، ومصنفها: أحمد بن الحسن، فخر الدين، أبو المكارم الجاربردي، إمام فاضل وقور، صاحب =

«شَياطِينَ الإِنسِ والجِنِّ»، أو «من الجنة»: بيان له «والناسِ»: عطف على الوسواس.

وعلى كُلٍّ شَمَلَ شرَّ لبيدٍ وبناته المذكورين. واعتُرض الأوّل بأنّ الناس لا يُوسوسون في صدور الناس، إنما يُوسوس في صدورهم الجِنُّ. وأُجيب بأنّ الناس يُوسوسون أيضًا بمعنًى يليق بهم في الظاهر، ثمّ تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المُؤدّي إلى ذلك. **والله ـ تعالى ـ أعلم.**

أيضاً نعمَةٌ، إمَّا لأنَّ مثلَ هذا القُرآنَ لمَّا نزلَ على العبادِ وقرؤُوهُ وعَمِلوا به كانَ مظنَّةً أن يزلَّهُم الشَّيطانُ بإيقاعِ العُجْبِ والكِبْرِ، فاختتَمَ بالمعوِّذتَينِ؛ لدفعِ ذلك، وإمَّا لأنَّ الكُفَّارَ كانوا يُصيبونَ بالعَينِ ويقصدونَ ذلك، قالَ تعالَى: ﴿وإِن يَكَادُ الذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [القلم: ٥١].

وقالَ السَّيِّدُ السَّندُ[1]: فيه إشارةٌ لطيفَةٌ، قالَ كمال باشا[2]: وجهُ الإشارَةِ أنَّ الاستعاذَةَ من شرائطِ بَدْءِ القراءَةِ بحُكمِ ﴿فَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ﴾ [النحل: ٩٨]، وفي الختمِ بالاستعاذَةِ نوعُ تذكيرٍ لذلك الشَّرطِ فينتَقِلُ الذِّهنُ منه إلى المشروطِ، ويكون ذلك كالباعثِ لابتداءِ القراءَةِ مرَّةً أخرى، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على ذلكَ بقولِهِ: «رَحِمَ الله الرَّاحِلَ والمرتَحِلَ»[3].

قلتُ: ومن الاتِّفاقيَّاتِ البديعيَّةِ والتَّوفيقاتِ الإلهيَّةِ ما وقَعَ في هذا التَّفسيرِ من انضِمامِ الفاتِحَةِ إلى الخاتِمَةِ.

وقالَ الكافيجيُّ: وأشارَ إليه بقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ فَاستَعِذ بالله﴾ [النحل: ٩٨] على أحَدِ الوجهينِ؛ يعني: على القَولِ بأنَّ الاستعاذَةَ عندَ خَتمِ القراءَةِ، قلتُ: فإذا ختمَ وبَدأ يكونُ عامِلاً بالوَجهينِ، ويحصلُ له أجرُهُ مرَّتينِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلم.

* * *

= المصنفات البديعة، والمؤلفات المفيدة، أخذ العلم عن القاضي البيضاوي، (ت: ٧٤٦هـ). انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٢)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص: ٢٨١).

(١) جاء في «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٢٥): علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف، والسيد المسند، الجرجاني، الحنفي، عالم نحرير، قد حاز قصبات السبق في التحرير، فصيح العبارة، دقيق الإشارة، نظار فارس في البحث والجدل، ولد في جرجان، وت (٧١٦هـ)، وله حاشية على تفسير البيضاوي.

(٢) وهو: أحمد بن سليمان ابن كمال باشا، ت: (٩٤٠هـ)، الفقيه الحنفي المشهور صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها «حاشية على الكشاف». انظر: «الفوائد البهية» (ص: ٢١).

(٣) روى الترمذي (٢٩٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٦٨) (١٢٧٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الحال المرتحل» قال: يا رسول الله، وما الحال المرتحل؟ قال: «يضرب من أول القرآن، إلى آخره، ومن آخره إلى أوله».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي.

سُورَةُ النَّاسِ

وتسمَّى مع ما قبلها ـ كما أشرنا إليه قبلُ ـ بالمعوِّذتين بكسر الواو، والفتحُ خطأ، وكذا بالمقشقشتين، وتقدَّم الكلام في أمر مكيتها ومدنيتها. وهي ستُّ آياتٍ، لا سبعٌ وإن اختاره بعضهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام كما قرئ: «فَخُذَ ارْبعة»[1] [البقرة: ٢٦٠].

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي: مالكِ أمورهم، ومربِّيهم بإفاضة ما يصلحهم ودَفْعِ ما يضرُّهم، وأمال «الناس» هنا أبو عمرو، والدوريُّ عن الكسائيِّ، وكذا في كلِّ موضع وقع فيه مجروراً[2].

﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ عطفُ بيانٍ على ما اختاره الزمخشريُّ[3]، جيء به لبيانِ أنَّ تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية سائر المُلَّاكِ لِمَا تحت أَيديهم من مماليكهم، بل بطريق الملك الكامل والتصرُّفِ الكلِّيِّ والسلطان القاهر. وكذا قولُه تعالى: ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ فإنه لبيان أنَّ ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم،

---

(١) التيسير ص٣٥.

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة ص٧٠٣: كلُّهم قرأ «الناس» غير ممالة إلا ما روى الحلواني عن أبي عمرو الدوريْ عن الكسائي أن قراءته كانت بإمالة النون من «الناس» في موضع الخفض، ولا يميل في الرفع والنصب.

(٣) في الكشاف ٤/ ٣٠٢.

والقيامِ بتدبير أمور سياستهم، والتولِّي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم، كما هو قُصارى أمرِ الملوك، بل هو بطريق المعبودية المؤسَّسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرُّف الكلِّي فيهم إحياءً وإماتةً، وإيجاداً وإعداماً. وجوِّزت البدلية أيضاً.

وقال أبو حيان: إنهما صفتان، وتعقَّب قول الزمخشري أنهما عطف بيان: بأنَّ عطف البيان المشهورُ أنه يكون بالجوامد، وأن ظاهر كلامه أنهما عَطْفَا بيانٍ لواحد، ولم أظفر من النحاة بشيءٍ في أمر عطف البيان، هل يجوز أن يتكرر لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز[1]. وأنت تعلم أنه لا مانع منه عقلاً، ثم ما هنا وإن لم يكن جامداً فهو في حُكْمِه، ولعل الجزالة دعتْ إلى اختياره.

وتخصيصُ الإضافة إلى «الناس» مع انتظام جميع العالم في سلك ربوبيته تعالى وملكوتِه وألوهيته ـ على ما في «الإرشاد» ـ للإرشاد إلى منهاج الاستعاذة الحقيقة بالإعاذة، فإنَّ توسُّلَ العائذ بربِّه وانتسابَه إليه بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضِمْنِ جنسٍ هو فردٌ من أفراده، من دواعي مزيدِ الرحمة والرأفة، وأَمْرُه تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالةَ، ولأنَّ المستعاذَ منه شرُّ الشيطان المعروفِ بعداوتهم، ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمزٌ إلى إنجائهم من ملْكة الشيطان وتسلُّطِه عليهم حَسْبَما ينطق به قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[2] [الإسراء: ٦٥].

واقتصر بعض الأجلَّة في بيان وجه التخصيص على كون الاستعاذة هنا من شرِّ ما يخصُّ النفوسَ البشرية، وهي الوسوسةُ كما قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ وبُحث فيه ـ بعد الإغماض عمَّا فيه من القصور في توفية المقامِ حقَّه ـ بأن شرَّ الموسوس كما يلحق النفوسَ يلحق الأبدان أيضاً، وفيه شيء سنشير إن شاء الله تعالى إليه.

---

(١) البحر ٨/ ٥٣١-٥٣٢. والكلام من قوله: وقال أبو حيان، إلى هذا الموضع ليس في (م).
(٢) إرشاد العقل السليم ٩/ ٢١٦.

واختار هذا الباحثُ في ذلك أنه لَمَّا كانت الاستعاذة فيما سبق من شرِّ كلِّ شيءٍ، أُضيفَ الربُّ إلى كلِّ شيءٍ، أي: بناء على عموم «الفلق»، ولما كانت هنا من شرِّ الوسواس لم يُضَفْ إلى كلِّ شيءٍ، وكان النظر إلى السورة السابقة يقتضي الإضافة إلى الوسواس، لكنه لم يضف إليه حطًّا لدرجته عن إضافة الربِّ إليه، بل إلى المستعيذ، وكأنَّ في هذا الحطِّ رمزاً إلى الوعد بالإعاذة، وهو الذي يجعل لِمَا ذكر حظًّا في أداء حقِّ المقام.

وربما يقال: إنَّ في إضافة الربِّ إلى الناس في آخر سورةٍ من كتابه تذكيراً لأول أمرٍ عرفوه في عالم الذرِّ، وأُخِذَ عليهم العهد بالإقرار به فيما بعدُ، كما أشار إلى قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] فيكون في ذلك تحريضٌ على الاستعاذة من شرِّ الوسواس لئلَّا يتدنَّسَ أمرُ ذلك العهد، وفيه أيضاً رمزٌ إلى الوعد الكريم بالإعاذة.

وذكر القاضي[١] أنَّ في النَّظْم الجليل إشعاراً بمراتب الناظر المتوجِّه لمعرفة خالقه، فإنه يعلم أولاً بما يَرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أنَّ له ربًّا، ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقَّق أنه سبحانه غنيٌّ عن الكلِّ، وذاتُ كلِّ شيءٍ له، ومصارفُ أمره منه، فهو الملك الحقُّ، ثم يستدلُّ به على أنه المستحقُّ للعبادة لا غير، ويتدرَّج[٢] في وجوه الاستعاذة المعتادة[٣] تنزيلاً لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات، فإنَّ عادةَ من ألَمَّ به همٌّ أن يرفع أمره لسيده ومربِّيه كوالديه، فإنْ لم يقدرا على رَفْعِه، رَفَعَه لملكه وسلطانه، فإنْ لم يُزِلْ ظلامتَه شكاه إلى ملك الملوك ومَن إليه المشتكى والمفزَعُ[٤]، وفي ذلك إشارة إلى عظم الآفة المستعاذ منها.

---

(١) هو البيضاوي في تفسيره مع حاشية الشهاب ٨/ ٤١٧-٤١٨.

(٢) في (م): ويندرج، وفي تفسير البيضاوي: وتدرَّج، والمثبت من الأصل.

(٣) قوله: المعتادة، صفة لقوله: وجوه. قاله الشهاب.

(٤) من قوله: فإن عادة من ألَمَّ به همٌّ، إلى هذا الموضع، ليس من كلام البيضاوي، وإنما هو من شرح الشهاب له.

ولابن سينا هاهنا كلامٌ تتحرَّج منه الأقلام، كما لا يخفى على مَن ألَمَّ به وكان له بالشريعةِ المطهَّرة أدنى إلمام.

وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة.

وقيل: لا تكرار؛ فإنه يجوز أن يراد بالعامِّ بعضُ أفراده، فالناسُ الأول بمعنى الأجِنَّة والأطفال المحتاجين للتربية، والثاني الكهول والشبان؛ لأنهم المحتاجون لمن يسوسُهم، والثالث الشيوخ المتعبِّدون المتوجِّهون لله تعالى. وهو على ما فيه يُبْعِدُه حديثُ إعادة الشيء معرفةً وإن كان أغلبيًّا.

وقال عصام الدين: استعاذ بربِّ الناس من الشرك الطاري بإسناد النعم إلى الأسباب الظاهرة، وبملك الناس من الشرك الطاري من إسناد السياسات ونظام المملكة إلى الملوك والسلاطين، وبإله الناس من الشرك الظاهر الذي يبتلى به المشرك. وسلك طريق الترقِّي وكرَّر الناس إظهاراً لمزيد الصفات الثلاثة على فرقة الناس. وليس بذاك[1].

والوسواس عند الزمخشري اسمُ مَصْدَرٍ بمعنى الوسوسة، والمصدرُ بالكسر، وهو صوت الحليِّ والهمسُ الخفيُّ، ثم استعمل في الخطرة الردية، وأريد به هاهنا الشيطان، سمِّي بفِعْلِه مبالغةً كأنه نفسُ الوسوسة، أو الكلام على حذفِ مضافٍ، أي: ذي الوسواس[2].

وقال بعض أئمة العربية: إنَّ فعلل ضربان: صحيحٌ كدَحْرَجَ، وثنائيٌّ مكرَّرٌ كصَلْصَلَ، ولهما مصدران مطَّردان: فَعْلَلَة، وفِعْلال بالكسر وهو أقيس، والفتح شاذٌّ لكنه كثُر في المكرَّر كتَمْتام وفَأْفاء، ويكون للمبالغة كفَعَّال في الثلاثي، كما قالوا: وَطواط للضعيف، وثَرْثار للمكثِر، والحقُّ أنه صفةٌ، فليُحْمَلْ عليه ما في الآية الكريمة من غير حاجةٍ إلى التجوُّز أو حَذْفِ المضاف. وقد تقدَّم في سورة الزلزال ما يتعلَّق بهذا المبحث، فتذكَّر فما في العهد من قِدَم.

---

(١) من قوله: وقال عصام الدين، إلى هذا الموضع ليس في (م).
(٢) الكشاف ٤/ ٣٠٢ بنحوه.

والظاهر أنَّ المراد الاستعاذةُ من شرِّ الوسواس من حيث هو وسواسٌ، ومآلُه إلى الاستعاذة من شرِّ وسوسته.

وقيل: المراد الاستعاذةُ من جميع شروره، ولذا قيل: «من شر الوسواس» ولم يقل: من شرِّ وسوسة الوسواس. قيل: وعليه يكون القول بأنَّ شرَّه يلحق البدن كما يلحق النفس أظهرَ منه على الظاهر، وعُدَّ مِن شرِّه أنه ـ كما في «صحيح البخاري»[1] ـ يعقدُ على قافية رأس العبد إذا هو نام ثلاثَ عقدٍ، مرادُه بذلك منعُه من اليقظة، وفي عدِّ هذا من الشر البدني خفاءٌ.

وبعضهم عدَّ منه التخبُّط، إذ الحق عند أهل السنَّة أنه قد يكون من مسِّه كما تقدَّم في موضعه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ صيغةُ مبالغةٍ أو نسبة، أي: الذي عادتُه أن يخنس ويتأخَّر إذا ذَكَر الإنسانُ ربَّه عز وجل؛ أخرج الضياء في «المختارة»، والحاكم وصحَّحه، وابن المنذر، وغيرُهم، عن ابن عباس قال: ما من مولودٍ يُولد إلا على قلبه الوسواسُ، فإذا عَقَل فذكر الله تعالى خَنَس، فإذا غَفَل وَسْوَسَ[2]. وله على ما روي عن قتادة خرطومٌ كخرطوم الكلب[3]. ويقال: إنَّ رأسه كرأس الحية.

وأخرج ابن شاهين عن أنس قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ للوَسْوَاسِ خَطْماً[4] كخَطْمِ الطائرِ، فإذا غَفَلَ ابنُ آدم وَضَعَ ذلك المنقارَ في أُذُن القلبِ يُوَسْوِس، فإنْ ذَكَرَ الله تعالى نَكَصَ وخَنَسَ، فلذلك سُمِّي الوسواس الخناس»[5].

---

(١) برقم (١١٤٢)، وأخرجه أيضاً مسلم (٧٧٦)، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الأحاديث المختارة (١٧٢)، والمستدرك ٢/ ٥٤١، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٤١٠، والطبري ٢٤/ ٧٥٣-٧٥٤، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر ٦/ ٤٢٠، وعنه نقل المصنف.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤١٠.
(٤) الخَطْمُ: منقار الطائر. ومن الدابَّة: مقدَّم أنفِها وفمِها. القاموس (خطم).
(٥) عزاه لابن شاهين السيوطي في الدر ٦/ ٤٢٠، وأخرجه بنحوه أبو يعلى في مسنده (٤٣٠١)، ولفظه: «إن الشيطان واضعٌ خَطْمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خَنَسَ، وإن نَسِيَ التَقَم =

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قيل: أُريد قلوبُهم مجازاً. وقال بعضهم: إنَّ الشيطانَ يدخُل الصدرَ الذي هو بمنزلة الدِّهْلِيز فيُلقي منه ما يريد إلقاءَه إلى القلب ويُوصِله إليه. ولا مانعَ عقلاً من دخوله في جوف الإنسان، وقد ورد السمعُ به كما سمعتَ فوجب قَبولُه والإيمانُ به، ومن ذلك: «إنَّ الشيطانَ ليَجْرِي من ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّم»[1].

ومن الناس مَن حمله على التمثيل، وقال في الآية: إنها لا تقتضي الدخولَ كما يُنادي عليه البيان الآتي.

وقال ابن سينا: الوسواس: القوَّةُ التي تُوقِع الوسوسةَ، وهي القوة المتخيّلة بحسب صيرورتها مستعملةً للنفس الحيوانية، ثم إنَّ حركتها تكون بالعكس، فإنَّ النفس وجهتها إلى المبادئ المفارقة، فالقوة المتخيّلةُ إذا أخذتها إلى الاشتغال بالمادَّة وعلائقها فتلك القوَّةُ تَخْنُس، أي: تتحرَّك بالعكس وتَجذِب النفسَ الإنسانيةَ إلى العكس، فلذلك تسمَّى خنَّاساً.

ونحوه ما قيل: إنه القوة الوهميةُ، فهي تُساعِد العقلَ في المقدِّمات، فإذا آلَ الأمرُ إلى النتيجة خَنَسَتْ وأخذت تُوَسْوِسه وتشكِّكه.

ولا يخفى أنَّ تفسيرَ كلام الله تعالى بأمثالِ ذلك من شرِّ الوسواس الخناس. والقاضي[2] ذكر الأخيرَ على سبيل التنظير لا على وجه التمثيل والتفسير، بناءً على حُسن الظنِّ به.

ومحلُّ الموصول إما الجرُّ على الوصف، وإمَّا الرفعُ والنصبُ على الذمِّ والشتم. ويحسُن أن يقفَ القارئ على أحد هذَينِ الوجهين على «الخناس»، وأما على الأول ففي الكواشي أنه لا يجوز الوقف. وتعقَّبه الطيبيُّ بأنَّ في عدم الجواز نظراً؛ للفاصلة.

= قلبه، فذلك الوسواس الخناس». قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٤٩: فيه عدي بن عمارة، وهو ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٨٥) (٢٤)، عن صفية ﵂، وقد سلف عند تفسير الآية (١٧) من سورة الأعراف.

(٢) هو البيضاوي في تفسيره مع حاشية الشهاب ٨/ ٤١٨.

وفي «الكشف» أنه إذا كان صفةً فالحُسنُ غيرُ مسلَّم، اللَّهم إلا على وجهٍ، وهو أنَّ الوقفَ الحسَنَ شاملٌ لمثله في فاصلةٍ خاصَّة.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ لـ «الذي يُوَسْوِس» على أنه ضربان: جِنِّيٌّ وإنسيٌّ، كما قال تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، أو متعلق بـ «يُوَسْوِسُ»، و«مِنْ» لابتداء الغاية، أي: يُوَسْوِس في صدورهم من جهة الجنِّ مثل أن يُلقيَ في قلب المرء من جهتهم أنَّهم ينفعُون ويضرُّون، ومن جهة الناس مثل أن يُلقي في قلبه من جهة المنجِّمين والكُهَّان أنَّهم يعلَمُون الغيبَ.

وجوِّز فيه الحاليةُ من ضمير «يُوَسْوِس»، والبدليةُ من قوله تعالى: (مِن شَرِّ) بإعادة الجارِّ وتقدير المضاف، والبدليةُ من «الوَسْواس» على أن «مِنْ» تبعيضيةٌ.

وقال الفراء[1] وجماعة: هو بيانٌ لـ «الناس» بناءً على أنه يُطلَق على الجنِّ أيضاً، فيقال كما نُقِل عن الكلبي: ناسٌ من الجنِّ. كما يقال: نفرٌ ورجال منهم.

وفيه أنَّ المعروفَ عند الناس خلافُه، مع ما في ذلك من شبه جعل قِسْم الشيء قَسيماً له، ومثلُه لا يناسِبُ بلاغةَ القرآن وإن سُلِّم صحَّتُه. وتعقِّب أيضاً بأنَّه يلزم عليه القولُ بأنَّ الشيطانَ يُوَسوِس في صدور الجنِّ كما يوسوس في صدور الإنس، ولم يقم دليلٌ عليه، ولا يجوز جعلُ الآية دليلاً؛ لِمَا لا يخفى.

وأقرب منه ـ على ما قيل ـ أن يراد بـ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: ٥] الناسيُّ بالياء، مثله في قراءة بعضهم: «مِنْ حَيْثُ أفاضَ الناسِ»[2] [البقرة: ١٩٩] بالكسر، ويُجعَل سقوطُ الياء كسقوطها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] ثم يبيَّن بـ «الجنة والناس»، فإنَّ كلَّ فردٍ من أفراد الفريقَينِ مُبتلًى بنسيان حقِّ الله تعالى إلا مَن تداركه شوافعُ عصمتِه وتناوَلَه واسعُ رحمته، جَعَلَنا الله ممن نال من عِصمته الحظَّ الأوفى، وكَالَ له مولاه من رحمته فأوفى.

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٣٠٢.

(٢) وهي قراءة سعيد بن جبير كما في القراءات الشاذة ص١٢.

ثم إنه قيل: إنَّ حروفَ هذه السورة غيرَ المكرَّر اثنان وعشرون حرفاً، وكذا حروفُ الفاتحة، وذلك بعددَ السنين التي أُنزِل فيها القرآنُ. فليُراجَع، وبعد أن يوجد الأمرُ كما ذُكر لا يخفى أنَّ كون سني النزول اثنتين وعشرين سنةً قولٌ لبعضهم، والمشهورُ أنَّها ثلاثٌ وعشرون[1].

ومثل هذا الرمز ما قيل: إنَّ أولَ حروفه الباءُ، وآخرها السينُ، فكأنه قيل: بَسْ[2]، أي: حسب، ففيه إشارةٌ إلى أنه كافٍ عما سواه، ورمزٌ إلى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقد نظم ذلك بعضُ الفرس فقال:

أولُ وآخِرِ قُرآن زجه بـا آمَـد وسِيـن يَعْني أَنْدَرْ دو جَهَان رَهْبَرِ مَا قُرْآن بَسْ[3]

ومثلُه من الرموز كثيرٌ، لكن قيل: لا ينبغي أن يقال: إنه مرادُ الله عز وجل، نعم قد أَرْشَد عز وجل في هذه السورة إلى الاستعانة به تعالى شأنه، كما أرشد جلَّ وعلا إليها في الفاتحة، بل لا يبعُد أن يكون مرادُه تعالى ـ على القولِ بأنَّ ترتيبَ السور بوحيه سبحانه ـ مِن خَتْمِ كتابه الكريم بالاستعاذة به تعالى من شرِّ الوسواس الإشارةَ ـ كما في الفاتحة ـ إلى جلالة شأن التقوى، والرمز إلى أنها ملاكُ الأمر كلِّه، وبها يحصل حسنُ الخاتمة، فسبحانه من ملِكٍ جليلٍ ما أجلَّ كلمتَه، ولله درُّ التنزيل ما أحسن فاتحتَه وخاتمتَه.

❁ ❁ ❁

وبعد، فهذا والحمد لله تأويلُ رؤياي من قبل، قد جعلها ربِّي حقًّا، فأسعدني ـ وله الشكرُ ـ بالتوفيق لتفسير كتابه العزيز الذي لا يذلُّ مَن لَاذَ به ولا يشقى، فإذ وفَّقْتَني يا إلهي لتفسير عبارته، ووقَفْتَني على ما شئتَ من مُضمَر

---

(١) ينظر الإتقان ١/١٢٩.

(٢) ورد في الأصل حاشية لهذه الكلمة: وهو عربي في قول كما في القاموس. اهـ منه. ينظر القاموس، وتاج العروس (بسس).

(٣) ومعناه: إن مجيء الباء والسين أول القرآن وآخره، معناه أن هادينا في العالمَيْنِ هو القرآن بَسْ (فقط لا غير).

إشارته، فاجعلني يا ربَّاه ممن يَعتصِم بمحكَم حبله؛ ويتمسَّكُ بعُروته الوُثقى، ويأوي من المتشابهات إلى حِرز معقِله، ويستظِلُّ بظِلالِ كَهْفه الأوقى، وأَعِذْني من وَساوِس الشيطان ومَكايِده، ومن الارتباك بشِبَاك غروره ومَصَايده؛ واجْعَلْه وسيلةً لي إلى أشرف منازل الكرامة، وسُلَّماً أَعرُج فيه إلى محلِّ السلامة. فطالما يا إلهي أسْهَرَتْني آياتُه، حتى خَفَقَتْ برأسي سِنةُ الكرى، فلم أَفِقْ إلّا وقد لطمَتْني من صِفاح صحائفِ سُوَره ذاتُ سِوَار. وكَم وكَم سَرَتْ بي يا مولاي عباراتُه، حتى حَقَّقَتْ لي دعوى: عند الصَّبَاح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى(١). فلم أشعُر إلا وقد تلفَّعتْ نواعِسُ السوادي من فضلِ مِئزَرِ مَهاةِ الصُّبح بخمار، ولم أزل أسوِّد الأوراق في تحريرِ ما أفَضْتَ عليَّ حتى بَيَّض نسخةَ عمري المشيبُ، وأجَدِّدُ النظرَ بتحديق الأحداق فيما أفضيتَ به من المشايخ إليَّ حتى بَلِيَ بُردُ شبابي القَشيبُ(٢).

هذا مع ما قاسيتُه من خليلٍ غادرٍ، وجليلٍ جائرٍ، وزمانٍ غَشومٍ، وغُيومٍ وَابِلُها غُموم، إلى أمورٍ أنتَ بها يا إلهي أعلم، ولم يكن لي فيها سواك مَن يرحم. وأكثر ذلك يا إلهي قد كان حيثُ أهَّلْتَني لخدمة كتابك، ومَنَنْتَ عليَّ من غير حدٍّ بالفحصِ عن مستودَعات خِطابك، فاكْفِني اللَّهمَّ بحُرمته مؤنةَ معرَّةِ العباد، وهَبْ لي أمْنَ يومِ المعاد، وأعِذْني بلطفك، واغْذُني بنعمتك، ووفِّقني للتي هي أزكى، واستعمِلني بما هو أرضى، واسلُك بي الطريقةَ المُثْلى، وذوِّدني مَطياتِ الهُدى، وزوِّدني باقياتِ التُّقى. وأصْلِح ذرِّيتي، وبَلِّغني بهم أُمنيتي، واجعلهم عُلماءَ عاملين، وهُداةً مَهديِّين، وكن لي ولهم في جميع الأمور، واحفَظْني واحفَظْهم من فِتَن دارِ الغُرور.

---

(١) مثلٌ يضرب لما يُنال بالمشقة ويُوصَل إليه بالتعب. وقال الزمخشري في المستقصى ٢/ ١٦٨: يضرب في الحثِّ على مزاولة الأمر بالصبر وتوطين النفس حتى تحمد عاقبته. اهـ. وهو في شعر نسب في المستقصى للجليح، وفي جمهرة الأمثال ٢/ ٤٢ للجميح، وفي مجمع الأمثال ٢/ ٣ لخالد بن الوليد، وفي الحيوان ٦/ ٥٠٨ لبكر بن عبد الله المزني، وفي تفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٣ لعبد الله بن رواحة، وبعده:

وتنقضي عنهم غياباتُ الكرى

(٢) القشيب: الجديد. القاموس (قشب).

وأيِّد اللَّهم خليفَتك في خليقتِك، ووفِّقه بحُرمة كلامك لإعلاء كلمتك. وصلِّ وسلِّم على روح معاني الممكنات على الإطلاق، ورُوح مغاني قلوب المؤمنين والمؤمنات في سائر الآفاق، وعلى آله وأصحابه، وكلِّ من سلك سَنَنَ سُنَّته واقتفى، وقال في ظِلالِ ظليلِ شريعته قائلاً: حَسبي ذلك وكفى.

وقد صادف تسليمُ القلم من ركوعه وسجوده، في ظُلَم دياجي المداد، واضطجاعِه في بيت الدواة، بعد قيامه على ساق الخدمة لكتاب ربِّ العباد، ليلةَ الثلاثاء، لأربعِ خلون من شهر رَبيع الآخَر، سنةَ ألفٍ ومئتين وسبعٍ وستِّين، من هجرة سيِّد الأوائل والأواخر، صلَّى الله تعالى عليه وسلم. وجاء تأريخه: أكمل تفسيري روح المعاني[1].

والحمد لله باطناً وظاهراً، وله سبحانه الشكرُ أولاً وآخراً.

تم الجزء التاسع والعشرون من تفسير
روح المعاني، وبه تم الكتاب
والحمد لله رب العالمين

(١) وهي بحساب الجمَّل سنة (١٢٦٧هـ) كما ذكر المؤلف أعلاه.

(سورة الناس)

(مختلف فيها وهي ست آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أي مربيهم ومصلحهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ مالكهم ومدبر أمورهم ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ معبودهم. ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ **(عطف بيان)** لـ «رب الناس» لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه. وعطف البيان للبيان فكأنه مظنّة للإظهار دون الإضمار. وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة وإن كان رب كل مخلوق تشريفًا لهم، ولأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الناس مختلف فيها)** في الخازن وهي مدنيّة وقيل: مَكيّة والأول أصح. **(وهي ست آيات)** وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفًا.اهـ خازن. وفي الخطيب وتسعة وتسعون حرفًا.اهـ. **قوله**: **(عطف بيان)** عطف البيان هو التابع الذي يجيء لإيضاح نفس سابقة باعتبار الدلالة على معنى فيه كما في الصفة وقيل: عطف البيان هو اسم غير صفة يجري مجرى التفسير.اهـ تعريفات. **قوله**:

الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلـٰههم ومعبودهم. وقيل: أراد بالأول الأطفال. ومعنىٰ الربوبية يدلّ عليه، وبالثاني **(الشَّبَاب)** ولفظ الملك المنبىء عن السياسة يدلّ عليه، وبالثالث الشيوخ ولفظ الإلـٰه المنبىء عن العبادة يدل عليه، وبالرابع الصالحين إذ الشيطان **(مولع)** بإغوائهم، وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو اسم بمعنىٰ الوسوسة كالزلزال بمعنىٰ الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها شغله الذي هو **(عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس)** و**(الوسوسة)** الصوت الخفي ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما رُوِيَ عن **(سعيد)** بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، وإذا غفل رجع ووسوس إليه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ في محل الجر على الصفة، **(أو الرفع)**، أو النصب على الشتم، وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس.

(الشَّبَاب) جمع شابّ المُنبِىء أي المخبر. **قوله**: **(مولع)** في المصباح أولع بالشيء بالبناء للمفعول يولع ولوعًا بفتح الواو علق به.اهـ. وفي لسان العرب أولع به ولوعًا وإيلاعًا إذا لجّ وأَوْلعه به أغراه.اهـ.

قوله: بمعنى **(الوسوسة)** وهو المصدر. **قوله**: **(عاكف عليه)** في المصباح عكف على الشيء عكوفًا وعكفًا من بابي قعد وضرب لازمه وواظبه.اهـ. **قوله**: **(أو أريد ذو الوسواس)** أي يجوز أن يحمل الكلام على تقدير المضاف. **قوله**: **(سعيد)** بن جبير الأسديّ مولاهم الكوفيّ ثقة ثبت فقيه وروايته عن عائشة وأبي موسى وغيرهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين.

قوله: **(أو الرفع)** على أن خبر مبتدأ محذوف أو النصب على الشتم والضم بتقدير الفعل مثل أذمّ.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان: جني وإنسي كما قال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: الآية ١١٢]. وعن (**أبي ذرّ الغفاري**) ﷺ أنه قال لرجل: هل تعوّذت بالله من شيطان الإنس؟ رُوي أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه: ما باله. فقال: (**طُبّ**). قال: ومَنْ طبه؟ قال: (**لبيد**) ابن أعصم اليهودي. قال: وبم طبه؟ قال: (**بمشط ومشاطة**) في (**جف طلعة تحت راعوثة في بئر ذي أروان**). فانتبه ﷺ فبعث (**زبيرًا وعليًا وعمارًا**) ﷺ فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجفّ، فإذا فيه مشاطة رأسه

قوله: (**أبي ذرّ الغفاري**) الصحابي اسمه جندب بن جنادة على الأصح تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرًا ومناقبه كثيرة جدًّا مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**طب**) أي سحر. **قوله**: (**لبيد**) بفتح اللام وكسر الموحّدة ابن أعصم بمهملتين بوزن أحمر اليهودي من بني زريق بضم الزاي وفتح الراء وقاف. **قوله**: (**بمشط**) بضم الميم وفي القاموس المَشط مثلثة وككتف وعُنُق وعُتُلّ آلة يمتشط بها. **قوله**: (**ومشاطة**) بضم الميم ما سقط من شعر الرأس أو اللحية عند تسريحه بالمشط. **قوله**: (**جفّ طلعة**) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء طلع النخل أي ظرفه الذي يتخلّق فيه. **قوله**: (**تحت راعوثة**) بالثاء المثلثة. قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية والمشهور بالفاء وهي هي. وفي لسان العرب راعوفة البئر صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتفرت تكون ناتئة هناك فإذا أراد تنقية البئر جلس المنقِي عليها.اهـ. **قوله**: (**في بئر ذي أروان**) بفتح الهمزة وسكون الراء وفي رواية في بئر ذروان بفتح المعجمة وسكون الراء وكلاهما صحيح مشهور والأول أصح وأجود وهي بئر في المدينة في بستان بني زريق. **قوله**: (**زبيرًا**) هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشيّ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله**: (**وعليًا**) هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأولين، المرجّح أنه أوّل مَن أسلم وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذٍ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. **قوله**: (**وعمارًا**) هو ابن

وأسنان من مشطه، وإذا فيه **(وتر معقد)** فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة **(بالإبر)**، فنزلت هاتان السورتان، فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام ﷺ عند انحلال العقدة الأخيرة **(كأنما نشط من عقال)** وجعل جبريل يقول: **(بسم الله أرقيك والله يشفيك)** من كل داء يؤذيك. ولهذا جوّز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان **(بالسريانية والعبرانية والهندية)**، فإنه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه، **(ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)** وأقوالنا

ياسر بن عامر بن مالك العنسي بالنون ساكنة ومهملة أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدريّ قتل مع عليّ بصِفّين سنة سبع وثلاثين. **قوله:** **(وتر)** بفتحتين أي وتر القوس. **قوله:** **(معقد)** في مختار الصحاح عقد الحبل والبيع والعهد فانعقد وعقد الرُّبُّ[1] وغيره فهو عقيد وبابهما ضرب وأعقده غيره وعقّده تعقيدًا والعقدة بالضم موضع العقد وهو ما عقد عليه. اهـ. **قوله:** **(بالإبر)** في المصباح الإبرة معروفة وهي المخيط والخياط أيضًا والجمع إبر مثل سدرة وسدر. اهـ. **قوله:** **(كأنما نشط من عقال)** أي كأنما حلّ وأطلق من عقال في مختار الصحاح العقال بالكسر الحبل الذي يربط فيه البعير. اهـ. **قوله:** **(بسم الله أرقيك)** بفتح الهمزة من رقى يرقي كرمى يرمي. **قوله:** **(والله يشفيك)** بفتح أوّله يعافيك. **قوله:** **(بالسريانية)** أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس أن آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلّم بالسريانية فلما تاب ردّ الله عليه العربية. قال عبد الملك بن حبيب: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيًا إلى أن بعد العهد وطال حرّف وصار سريانيًا وهو منسوب إلى أرض سورنة وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق قال: وكان يُشاكل اللسان العربي إلّا أنه محرّف وهو كان لسان جميع مَن في سفينة نوح إلا رجلًا واحدًا يقال له جرهم فكان لسانه لسان العربيّ الأول. **قوله:** **(والعبرانية)** في لسان العرب العبرانية لغة اليهود. اهـ. **قوله:** **(والهندية)** بلاد واسعة كبيرة والهند والسند كانا أخوين من ولد نوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام. اهـ. أخبار الدول. **قوله:** **(ونعوذ بالله)** أي نلتجىء ونعتصم بعونه وحفظه **(من شرور أنفسنا)** أي من ظهور السيئات الباطنة التي جبلت الأنفس عليها **(ومن سيئات أعمالنا)** أي

---

(١) وهو الطلاء الخاثر. اهـ لسان العرب.

ومن شر ما عملنا وما لم نعمل، **(ونشهد)** أن **(لا إله إلا الله)** وحده لا شريك له **(وأن محمدًا هو عبده ورسوله)** ونبيّه وصفيّه، أرسله ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، **وصلّى الله على محمد وعلى آله)**

من مباشرة الأعمال السيئة التي تنشأ عنها وفيه اعتراف بأن البواطن والظواهر مملوءة من العيوب، ومحشوة من الذنوب. ولذا قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. قيل: منها التصنيف بلا إخلاص، وعدم رؤية التوفيق والاختصاص، ولولا حفظه تعالى مع توفيقه، لما استقام أحد على طريقه، لولا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا. **قوله:** **(ونشهد)** أي نعلم ونبين أن مخففة من الثقيلة أي أنه وضمير الشأن **(لا إله)** أي لا معبود ولا مقصود، أو لا موجود في نظر أرباب الشهود، **(إلا الله)** أي الذات الواجب الوجود صاحب الكرم والجود وحده لا شريك له **(وأن محمدًا هو)** في الأصل اسم مفعول من حمّد مبالغة حَمِدَ نقل من الوصفية إلى الاسمية سميت به والأسماء تنزل من السماء لوصوله إلى المقام المحمود الذي يحمده الأولون والآخرون **(عبده)** إضافة تشريف وتخصيص إشارة إلى كمال مرتبته في مقام العبودية بالقيام في أداء حق الربوبية وقدمه لأنه أشرف أوصافه وأعلاها وأفضلها ولذا ذكره الله تعالى بهذا الوصف في كثير من المواضع في القرآن، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: الآية ١]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: الآية ١٠]، **(ورسوله)** إشارة إلى أعلى مراتب القرب وأولى منازل الحب وهو الفرد الأكمل، والواصل إلى المقام الأفضل، وفي الجمع بين الوصفين تعريض للنصارى حيث غلوا في دينهم وأطروا في مدح نبيّهم ونبيّه. قيل: النبيّ والرسول مترادفان والأصح أن النبي إنسان ذكر حر من بني آدم أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه وإن أمر به فرسول أيضًا فالأول أعم من الثاني فكل رسول نبيّ ولا عكس. **قوله:** (﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾) يغلبه (﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) جميع الأديان المخالفة له (﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾) ذلك. **قوله:** **(وصلّى الله على محمد وعلى آله)** بإعادة كلمة ردّ على الشيعة في قولهم: إن جمع الآل مع النبيّ ﷺ في الصلاة بكلمة على لا يجوز ويجب ترك الفصل بينه وبين آله[1] وينقلون في ذلك حديثًا لا يصح مصابيح الأنام في المصباح الأنام الجن والإنس، وقيل:

---

(١) واستدلّوا بحديث موضوع لا تفصلوا بيني وبين آلي بعلى. ١٢ منه رحمه الله.

مصابيح الأنام **(وأصحابه مفاتيح دار السلام)** صلاة دائمة ما دامت الليالي والأيام.

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله هداة الأنام وأصحابه نجوم الإسلام (وبعد) فقد تمّ طبع هذا التفسير الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ﷺ وجعل الجنة متقلبه ومثواه.

الأنام ما على وجه الأرض من جميع الخلق. اهـ. **(وأصحابه مفاتيح دار السلام)** في الأنموذج أن أصحاب النبيّ عليه الصلاة والسلام يقاربون عدة الأنبياء. وفي الألفية أنه ﷺ مات عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وعلينا معهم أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين تمّت.

قال المؤلّف شكر الله سَعْيه وأتمّ عليه نعمته قد وقع الفراغ من تسويدها وكتابتها وتأليفها بعون الله وتأييده ثالث عشر ذي القعدة يوم الأربعاء سنة ست وتسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيّد الثقلين عليه وعلى آله أكمل التحيّات وأفضل الصلوات بمكة المكرمة في الحطيم الشريف تحت ميزاب الرحمة على يد مؤلفها المفتقر إلى رحمة ربه الحق محمد عبد الحق ابن الشيخ شاه محمد ابن الشيخ يار محمد تغمّدهم الله برحمته ورضوانه وأسكنهم أعلى الغرف العالية في الجنان، في القصور الحسان، إنه كريم حنّان، رحيم رحمٰن، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين، نسأله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، بحرمة الرؤوف الرحيم، وأن ينتفع به كما نفع بأصله، بجاه خير أنبيائه ورسله، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم، ويديمنا على الحق القويم، ويمتّعنا بالنظر إلى وجهه الكريم، في جوار نبيّه الكريم، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، غفرانك ربنا وإليك المصير، سُبْحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين، آمين.

بحمد الله تعالى قد حصل الفراغ من طبع هذا الكتاب المستطاب في آخر ذي الحجة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة النبيّ المختار صلّى الله تعالى عليه وعلى آله الكبار بمطبع إكليل المطابع في بلدة بهرائچ.

والحمد لله ربّ العالمين